مكتبة عابث
fb : @3abeth

يا سلمى
أنا الآن وحيد

باسم شرف

دار دوّن للنشر والتوزيع

fb : @3abeth

إهداء

"إلى أمي التي رحلت وتركتني وحيدا"

fb : @3abeth

الوحدة مزاج الأنبياء

(١)

الوحيدون طيّبون بالفطرة..

الوحيدون وحدهم يدركون الليل..

يبكون أمام العابرين في طرقات عربة المترو دون خجل..

يبحثون عن ابتسامة مفاجئة يكتبون عنها قصيدة..

يبحثون في أرقام هواتفهم الجوالة عن أشخاص يحكون هم عن أبطال فيلم يحبّونه..

ولا يجدون..

الوحيدون وحدهم..

***

fb : @3abeth

(٢)

أخبرني الشاعر بأنه بعد النهاية المنتظرة لفتاته الجميلة..

جلس يبكي وحيدا..

ولعب تمرينات الوداع العادية..

ولم يكتب قصيدة قبل النوم..

ليستيقظ وقد نسي

كلّ قبلاتها ومخزن الصور الذي حذفه من جهازه المحمول..

وحكاياتها المملة..

التي كان يضحك عليها مجاملة بنصف ابتسامة..

وحيلها في اختيار المهروب..

وتعلّم أن الوحدة صفة إلهية.. الوحدة شرف الوحيد.. وودّعته قبل أن تخبره هل تعاطفت مع الله.

***

(٣)

الوحيدون طيّبون بالفطرة

يقفون أمام البحر في الصباح، يبحثون عن وجوه الأحبّاء الذين رحلوا في هدوء، غير عابئين بأرق العالم ولا بأحلامهم البائسة.

fb : @3abeth

الوحيدون وحدهم

***

(٤)

أنا القبطان العجوز

الذي ترك البحر للأبد

أنا النبي المحتمل للوحدة

أنا العاشق الذي لا يملك من الحب سوى قصاصات الورق المتهرئة

يتركني الليل بهدوء

وبعض الأطباق الموقّعة من رجال الأنظمة المكروهة

أنا رجل بلا ذاكرة

أعرف الحانات الرخيصة ولم أضل طريقها يوما

تحفظني الفتيات العذراوات

تعرف حكاياتي المسلّية عن البحر والموت

أنا الصندوق الخشبي المنتظر

وبعض الآيات التي يردّدها العامة بتشكيل نحوي خطأ من باب الخشوع المصطنع

أنا النسيان

أنا الذي سقط سهوا من قائمة المودّعين لي

fb : @3abeth

سأحكي لك حكاية يا سلمى

أعلم أنك تعبت من نزقي وغضبي وحديثي الدائم عن الواقع والفقراء والسلطات والحكومات وتقسيم الخرائط وداعش، أعلم أني أثقل عليك بكل أحلامي، لقد أنهكتنا الأحلام يا عزيزتي، في مزرعة الأحلام يموت زارعوها من قسوة الشمس والعطش، ليحصدها القابعون في الأسرة ومطاعم الوجبات السريعة.

الآن أتخيّلك أمامي، تجلسين أمام المدفأة في شتاء باريس، وقطة شيرازية تنكمش بجوارك، وضباب يغطّي نافذتك، وأنت طربة بسماع قطرات المطر المتدافعة على الأرض، فصنعت نغمًا شجيًا، الآن أحكي لك «حدوتة» قبل أن تنامي كطفلة شقية ظلت تلعب طوال اليوم، كم أفتقد الحواديت وحكيها. سأبدأ في حكي واحدة منها، وسأحاول أن أكملها لأني لا أحفظ الحواديت، وسأبحث في دروبها عنك وأنا أحكيها، متعة البحث في الظلام عن قطة سوداء.

fb : @3abeth

سأحكي لكِ حدوتة «نور ملكة البحر»:

«كان فيه قبطان عجوز خسر كل حاجة بيحبها جوا البحر، وقرّر إنه مايتزلش البحر تاني، مش عشان خايف من البحر.. لا.. لكن لأن كل نقطة ميّة بتفكره بحاجة بيحبها راحت منه.. ولأنه مايقدرش يعيش من غير ما يشوف البحر قدّامه بيخطف روحه لحظات وبيرميها له تاني على الشط.. فكان بينزل يقف على الشط كل يوم بالليل لوحده عشان يصطاد.. بيخاف نقطة ميّة تكون شايلة معاها حتة من روحه اللي راحت منه وسط البحر.. والضلمة بتخبّي حاجات عشان لما يلاقي حاجة تخصه تنور.. عمره ما خاف.. وعمره ما نسي جرح البحر.. وبطل ينام الليل ليكون آخر يوم ليه.. إحساسه بالوحدة بيخلّيه يعيش أكتر.. يمكن في لحظة البحر يحدف له صَدَفة مش متوقعها.. يفتحها يلاقي جواها حبة نور يخلّوه يبتسم.

وسط ما هو مستني سمكة تشبك في صنارته، طلعت له جنيّة جميلة قوي، بيقولوا عليها البحارة ملكة البحر، ابتسمت له وابتسم لها.. فضلت باصة في عنيه وباصص في عنيها اللي جواها عمره اللي فات.. وابتسامته الوحيدة اللي مستنيها.. هي تعرفه كويس.. وهو يعرفها كويس.. عمرهم ما اتقابلوا أبدًا.. البحر زي ما هو مرعب وبيبعت خوف يستخبي ورا جلد الجسم، ويعمل في الجسم برودة.. إلا إنه لو حابب صياده بيبعت له علبة فيها هدية، ودي بتيجي مرة واحدة.. قعد يتكلّم معاها.. اتعلق بيها واتعلّقت بيه.. قرروا يعملوا عقد، يحطّوا فيه كل الحاجات اللي بتخوّفهم، وكل الحاجات اللي بتطمّنهم.. والحاجات اللي ماينفعش يخونوا فيها بعض أو يكدبوا.. واللي يخبّي على التاني حاجة يخلص العقد.. وفعلًا كتبوا العقد بشرط

fb : @3abeth

إن كل واحد منهم يكتب بند في العقد ده.. وفي آخره يمسكوا إيد بعض ويمضوا إمضاء واحد بنفس الخط المتعكش اللي بيحبّوا يكتبوا بيه.. فضلت قاعده معاه طول الليل وقبل ما يطلع عليه الفجر قالت له مالك؟ قال لها: خايف، قالت له: من إيه؟ قال لها: خايف نور الصبح تختفي جواه، ويجي الليل من تاني وماتطلعيش.. عنيها دمعت وقامت باسته.. بوسة حنيّة، وقالت له ماتخافش طول ما الليل بيجي أنا نورك اللي هتشوف بيه.. ضحك هو بنص ابتسامة، وهي كمّلت ابتسامته.. وبقوا على بداية طلوع الفجر كل واحد واخد من التاني نص وشه، يعيش بيه لحد ما يجي الليل.. والبحر بعت كام موجة فرحانة بلّت طرف العقد اللي كتبوه».

الآن تستطيعين أن تنامي وتحلمي بأن «نور» سوف تظهر مرة أخرى، إلى اللقاء يا عزيزتي. تصبحين على خير.

fb : @3abeth

يا سلمى.. عامان أكتب لك ولا يصلني الرد..

أكتب لك خطابًا لا أعلم كيف يصل إليك، أكتب لك ولا أعلم متى نلتقي، وهل لنا بلقاء عن قريب. عامان لا أعرف عنك شيئا.. عامان أرسل لك خطابات ولا يصلني الرد منك.. وسأظل أرسل لك خطابا أو قصيدة أو هاجسا يؤرقني، أو عن أشخاص أحبهم كما تعودت أن أحكي معك.. أعلم أن الرصاص يلف في مدارات حول رؤوسكم في غزة، كما لفائف الدخان من سيجارة رجل يدخّن بشراهة، وأنا عاجز عن فعل شيء.. الحواجز تمنعني.. والسحب لم تعد تدلّني على الطريق.. فاغفري ضعفي واعلمي أنك يا سلمى أقوى من كل دبابات العدو.

fb : @3abeth

يا سلمى

أعلم أنك عندما تقرئين الخطاب ستقولين لا تخف، أنا رأيت عينيك في المنام بهما خوف الطفلة التي تنتظر قصف بيتها بغزة، بعد أن مات الأب من الانتظار، وأمها التي ظلت تحكي حكايات عن ملائكة صدّت عنها رصاصات طائشة كانت ستسكن قلب ابنتها. أليس هذا الخوف كفيلا بأن تتغيّر خارطة العالم، وتجعل الله يفكر ألف مرة في كيف يمنع بكاء هذه الطفلة مرة أخرى؟ كيف أرى كل هذا الخوف في عينيك، حتى ولو في المنام ولا أخاف ولا أقلق؟

يا سلمى

ما يحدث في غزة ليس اجتياحًا لفلسطين، ولا للأمة العربية، ولا مصر، إنما هو اجتياح لك أنت، وهذا يمثل لي كل الكون..

لو أستطيع أن أقدم لك بندقية بدلًا من الورد في عيد الحب، لفعلت، فالرصاص الذي تدافعين به عنك هو أقوى درجات الحب التي لم يكتب عنها ابن حزم في كتابه طوق الحمامة.

يا سلمى

يقاتلون بعضهم، لا أعرف إلى متى، يهدمون بيوتًا ويشرّدون أسرًا كاملة! العالم أوسع وأرحب بنا جميعًا، لماذا يستمرّون في الحروب مع أنها لم تقدم شيئًا للإنسانية، وما تأخذه اليوم يأخذه منك في الغد غيرك؟! لماذا لا يقبّلون بعضهم في الطرقات بدلًا من إطلاق رصاصة

fb : @3abeth

طائشة تصيب طفلة بالذعر أو بالموت، وتجعل أحلامها طرقات مظلمة؟!

يا سلمى

الداعشيون موجودون في كل أمة، عندنا سلفيون وقلوبهم داعشية حرّضوا على قتل الشيعة، وطردوا مسيحيين من بيوتهم في الصعيد، وحرقوا بيوت البهائيين. عزيزتي القضاء عليهم ليس بقتل أفرادهم.. لا بدّ من قتل الفكرة من المنبع، والسعي لوجود دول عربية علمانية حتى لو استمرت في صراع لنصف قرن، وبعدها ستبدأ الإنسانية، وستكون الأديان بخير، طالما ابتعدوا عن أفكارهم الشاذة وسيستطيع الجميع أن يتعايشوا في مكان واحد.. وإذا تغيرت القوى المسيطرة على الكرة الأرضية وجاءت دول أخرى تسيطر ـ أمريكا.. روسيا مثلا ـ ستتغير خريطة داعش واحتمال أن ينتهي دورهم هنا.. وتبدأ جماعات أخرى في مباراة جديدة لحسم الصراع والبحث عن الثروات.. نحن نعيش جميعًا في صندوق خشبي وضعه الجد في بيت مهجور، والجميع من الخارج يحاولون أن يأخذوه ويفتحوه، ويعتقدون أنه كنز، ولو فتحوه لعرفوا أنها حظيرة كبيرة، تتشاجر بداخلها لمن يأخذ لقب زعيم الحظيرة..

يا سلمى

سأجوب الشوارع وأعلّم الأطفال أن إسرائيل عدو، وستظل

fb : @3abeth

عدوا.. كما تعلمنا منذ الصغر، وسأطالب بمعاقبة كل مادحي هذا العدو، لأنها خيانة، وشجاعة الطفل الفلسطيني بكرامة شعب بأكمله، وسأعلّم الطفل هنا كيف يكون رجلًا يحب الحياة ويدافع عن أرضه، كما الطفل الفلسطيني والمرأة الفلسطينية القوية الجميلة.

يا سلمى..

هنا يحدث كل شيء

كل شيء يحدث

وكأن شيئا لم يحدث

فهوّني عليك.. لا بقاء لمن يضعف أو يستسلم

لقد تعلّمت منك القوة والبقاء في الليل وحيدا أغنّي..

لا شيء يحدث سوى أني أنتظرك بالمعبر، وبيدي ورد، بعد أن تنتهي من رقصة الرصاص الموجّهة نحوك.. فأنا واثق من انتصارك النهائي..

ساعتها سأقبّلك وأحضنك جهارا أمام العابرين دون التفات إليهم..

أتعلمين أن حضنك يلخّص لي الكون.. ويجعل مدار الشمس متجها نحونا في سعادة؟

يا سلمى.. سأنتظرك وأنت تنادين باسمي وبيدك ابتسامة تغمرني.. يا سلمى.. يا حب غزة.

fb : @3abeth

يا سلمى.. أنا مكسور مثلهم

تذكرين يا سلمى جنود الحرب العالمية الأولى وهم يودعون ذكرياتهم وأهلهم، وهم لا يعرفون أن الحرب العالمية الثانية في انتظارهم كجولة استثنائية تدور في فلك الهزيمة، والتي ستكون محورًا آخر لفلك طلاسم وأسباب بؤس هذا العالم وما ينتظره من جروح لن تطويها ساعات هذا الزمن؟

يا لبؤس هؤلاء الجنود وهم يتحدثون مع أطفالهم عن نبل هذه الحروب.

يا سلمى

تعرفين عدد الحوادث التي تُمزّق قلوب الأمهات كل يوم على قارعة الطريق؟ كم من الوقت تحتاج هذه القلوب لاستعادة قوتها

fb : @3abeth

وقدرتها على الحياة؟! الوقت أقسى من الذكرى التي تسكن هذه القلوب، إنه يمر لأنه لا بدّ له أن يمر دون توقف ودون رحمة، يعرف جيدًا طريقه نحو الوجع، ولكن لا مانع من هذا الحزن الذي يغيم على سحب هذا الشتاء الجديد الذي ننتظره، لقد اعتدناه وهو يتحرك ببطء كحركة لص يعرف أن أصحاب المنزل غير موجودين.

يا سلمى

«الجبان يموت ألف مرة والشجاع مرة»، الرجل الذي قالها أول مرة كان على الأرجح جبانًا، عرف الكثير عن الجبناء ولا شيء عن الشجعان. الشجاع إذا كان ذكيًا يموت، ربما ألفي موت ولكنه ببساطة لا يتذكرهم.

كانت ستزداد قوة هذه الكلمات ووقعها عليّ وتأثيرها، لو لم ينتحر هيمنجواي ويفقد قداسة الحياة، قبل أن يسجّل هذه الكلمات في كتابه «وداعًا للسلاح»، يا عزيزتي كثيرًا ما نؤمن بأشياء ونفعل عكسها بصلابة إيماننا بها، ما أجمل أن نتحلى بأخطائنا، الإنسان السليم هو المفعم بكل هذه الأخطاء والشرور، هكذا علمتنا الحكايات التي عشناها، لا التي حكتها لنا جدّاتنا وهن جالسات على الأرض، يحاولن أن يطمئن قلوبنا للحياة، ويعرفن أننا أقوياء مثلهن.

أنا يا عزيزتي أحب قراءة السير الذاتية ولكني لا أصدقها، وأكره مثالية أصحابها التي يعلنوها في صفحاتهم، ويخبروننا بأن الله ضلّ طريقه بأنه لم يخترهم أنبياء بقلوب صافية، مع العلم أن الكون تم

fb : @3abeth

صنعه بفعل خطيئة ارتكبها آدم، وندفع ثمنها نحن، قد تكون الخطيئة يا عزيزتي مفتاحًا لحياة جديدة لا نعلمها ونعلم جمالها وحسنها.

يا سلمى

تخبرينني أنني أتحدث عن الوحدة كثيرًا، ويجب أن أعيش بعيدًا عنها، ولكني يا عزيزتي أفضّل الوحدة وقداستها، أفضّل أن أكون وحيدًا على أن أكون في ركاب الآخرين الذين يحملون معهم زلّات لساني وانفعالاتي الخاطئة، كل ما في الأمر أني أترك نفسي للحياة، وأختار ما يناسبني منها، علّني أكون مالكًا لها، لا أن تملكني هي.

الوحدة يا حبيبتي مزاج الأنبياء. أنت تؤمنين بما قاله هيمنجواي عن الوحدة وكراهيته لها، مع أنه عاش وحيدًا ومات وحيدًا، ولم يكن بالقوة التي تجعله يتغلب عليها ويعيش غيرها، أو يعيشها ويتفاعل معها كتمرين يومي على الطبخ ولعب الكرة والصيد، أنا متقلّب المزاج يا عزيزتي، ولا أملك يقينًا نحو ما أقول. قد أبدّله كل لحظة، ولا أعلم من أين لهؤلاء بهذا اليقين!

أنا أكره لحظات ضعف هيمنجواي، وأقرأه فيزداد ايماني بما يقول، أنا مثله مكسور «أعلم أن الليل يمكنه أن يكون مروعًا للوحيدين متى بدأت وحدتهم إذا حمل الناس شجاعة كبيرة إلى الدنيا، على الدنيا أن تكسرهم، والسبيل الوحيد لذلك هو قتلهم، فتقتلهم بالطبع، الدنيا تكسر كل واحد ثم بعدها يصيرون أقوياء في ذات الأماكن المكسورة، ولكن أولئك الذين لن ينكسروا تقتلهم، الدنيا تقتل

fb : @3abeth

الطيبين جدًا والشجعان جدًا بلا تمييز، تقتلهم بإنصاف، إذا كنت لا أحد من هؤلاء فتيقن أنها ستقتلك أيضًا ولكن لا داعي للاستعجال، أنا لم أعد شجاعًا يا عزيزتي، أنا مكسور بالكامل.. لقد كسروني، وأنا مثله مكسور بالكامل يا سلمى.. لقد كسروني.

fb : @3abeth

وداد مكسورة ووحيدة مثلهم يا سلمى

(١)

عم سعيد: الصبر يا وداد.. الصبر.. إنتي بس اصبري كده شوية.. وبُكره يجيلك عريس تخلّفي بدل العيلتين خمسة.

وداد: امتى بس؟ ما أنا اتخطبت يجى حداشر مرة وكل مرة الخطوبة تتفسخ ويقعدوا يقولوا لي يا مجنونة يا مجنونة.. أنا مش مجنونة يا عم سعيد.. أنا من أساسه ماحبتش ولا واحد فيهم.. طب أقول لك على حاجة بقى.. أنا ممكن ولا آكل ولا أشرب ولا أنام بس الراجل اللي أحبّه يطبطب عليا وكدهون، ويقول لي سلامة رجلك من الوقفة يا وداد.

fb : @3abeth

(٢)

سأحكي لك يا سلمى عن شخصية وداد التي كانت إحدى شخصيات فيلم هيستريا الذي كتبه الكاتب الكبير محمد حلمي هلال، وقام ببطولته أحمد زكي وعبلة كامل، فيلم هيستريا يا سلمى يشبهنا جميعا، كل الشخصيات وحيدة ومكسورة، أنهكها الواقع، وضغطت عليها الظروف، وكأن كل شخصيات الفيلم شخصية واحدة، ولكن كل شخصية لها نصيب من الإحباط بشكل مختلف.

كنت صغيرًا عندما رأيت الفيلم، وجدت نفسي «زين» الذي كان عنده حلم الغناء فدرس الموسيقى وفشل في الوصول للناس، فنزل محطات المترو ليغني لهم، وأنا رمزي الشاب المحبط الذي لا يستطيع الزواج بسبب حالته المادية، وأنا جنون وداد.

تسألين لماذا سأحكي لك عن وداد؟ أقول لك: وداد.. فتاة عادية تشبه العاديات، رأيتها مرة في عربة المترو صامتة تحدق في زجاج النافذة، وفي أذنيها سماعة إم بي ثري وتسمع أغاني، أو لا تسمع شيئًا، وهذا الأقرب بالنسبة لي، ربما أغنية ما انتهت ولم تضغط لتقوم بتشغيل الأخرى، رأيتها تسير بجوار السيارات، تنظر للمارة شاردة، رأيتها تجلس وحدها في السينما تشاهد فيلمًا رومانسيًا، رأيتها تكتب على صفحة فيس بوك عن الحب والوحدة والتمني، رأيتها تنظر لي باهتمام، فالوحيدون يا سلمى يعرفون بعضهم جيدًا، ولا يستطيعون أن يعبّروا عن مشاعرهم.

fb : @3abeth

ولكن وداد في السينما كانت أقوى منهن جميعًا، وداد استطاعت أن تفصح عما يدور بداخلها، وداد فضحت مجتمعًا غاب منه المنطق فأصبحت هي المجنونة أمام مجتمع عاقل.

(٣)

زين: بصي. أنا لما اتخرّجت من معهد الموسيقى، اشتغلت في مدرسة ابتدائي،

وفي يوم بصيت لقيت بنت صغيرة قاعدة يتعيّط.. ليه؟ علشان زميلها باسها في خدها، وأنا قلت بقى آخدها على قد عقلها، قلت لها إيه رأيك تاخدي حقك منه وزي ما باسك تبوسيه إنتي كمان؟

وداد: وباسته بقى؟

زين: وباسته فعلًا، وبطّلت عياط فعلًا.. بس أنا بقى اترفدت لما الناظر عرف،

شوفي يا وداد، إحنا عايشين في مجتمع ضاغط، اللي يتصرف فيه بإنسانية وبساطة وتلقائية، يفتكروه مجنون، فاهمة قصدي؟

(٤)

وداد ليست مجنونة كما يراها المحيطون بها.. وداد عاقلة وقوية

fb : @3abeth

وسط محاولات البعض إثبات ضعفها.. هي مسكينة فقط، وهذا كل ما في الأمر.. استطاعت أن تختار فارس أحلامها بإرادتها.. اختارت (زين).. اختارت من يشبه بؤسها وانكسارها، وفي نفس اللحظة يسعى لأن يحقق نفسه بقليل من السعادة..

(٥)

وداد: بوسني من ورا الإزاز يا زين.

(٦)

وداد كانت تنزل محطة المترو، تنتظر زين، رغم علمها بأنه لن يجيء، ولكن لا مانع من قليل من السعادة في الانتظار، فهي اختارت لنفسها هذا الطريق، صنعت أحداثها بنفسها، لم يجبرها محمد حلمي هلال كاتب الفيلم على أحداث بعينها، اختارت حبيبها، اختارت مصيرها بنفسها، دخلت حياة زين كحلم، وخرجت منه كحلم.

اختارت في نهاية الفيلم أن تركب المترو، ولأول مرة تركب المترو في كل هذه الأحداث، وتنظر من النافذة التي سرعان ما تختفي في ظلام النفق، لتكون وداد أخرى على محطة أخرى، ربما تجد زين آخر، تصنع معه قصة حب تنتهي كعادتها.

fb : @3abeth

(٧)

أعلم الآن أنك تريدين أن تسألي: لو وجدت شخصية مثل وداد هل تحبها وتفضّل أن تكون حبيبتك؟

أنا: لا أعرف، ولكن على الأرجح لن يحدث، فهي شخصية أحب أن أراها لا أن أعيش معها، هي مختلفة تمامًا عني، هي أقوى منّي بكثير، هي تستطيع أن تختار مصيرها، لأنها في نهاية الأمر شخصية درامية، تستطيع أن تملّ من الأحداث وتخرج خارج السيناريو بأي حيلة تختارها هي، أما كل من يشبهها فأغلبهم صامتون لفترات طويلة، ويضحكون كثيرًا ضحكا لم يخرج من القلب، من يشبها مكسور لا يستطيع الاختيار، لأن النتيجة دائما غير مرضية، رأيت مثلها تريد أن تخلع الحجاب وخائفة لأن والدها مرة سمعها تتحدث عن هذه الفكرة فضربها حتى فتح رأسها، ورأيت مثلها تريد أن تغنّي، وعندما غنّت طردت من المنزل، ورأيت مثلها قررت الانتحار وانتحرت، المصير الذي تختاره يشترك فيه معك الكثير، ولكني أرى يا سلمى أن المصير الوحيد هو الحياة، وعليك أن تختاري حياتك دون انتظار النتيجة المحتومة، عليك أن تختاري حياتك لأنها مرّة واحدة ربما أموت في الغد أو اليوم دون أن أقوم بفعل كل ما أريد أن أقوم به، كما تعلّمت أنا من وداد، أننا جئنا كالحلم من عصر ماتت أحلامه، وسنخرج منها كالحلم أيضًا يا سلمى.

fb : @3abeth

لا تنتظري مثلهم المهدي المنتظر

فتاتي الجميلة الغامضة.. كيف حالك؟ وكيف حال حياتك ومودك اليومي؟ لقد افتقدت كلامك والحديث إليك، كيف حال غزّة الآن؟ لا تنزعجي فكلٌ منا يعيش البؤس بطريقته التي تناسبه، نكتب كل يوم وننادي، الداخلية تعبث بالوطن وتتعامل بمراهقة مع الأمور، يا ليتهم يدركون حجم بؤسهم هم أيضًا، لا يعلمون نتيجة تعاملهم مع الطلبة، الطلبة يا عزيزتي مسمار ضروري في نعش هذا الوطن، رأيتهم اليوم يصكّون قانونًا بحبس الطلبة في المرحلة قبل الجامعية لأنهم لا يردّدون النشيد الوطني باهتمام، هل رأيت بؤسًا وعبثًا أكبر من ذلك؟

أعلم أنه لا مكان لمثل هذه القضايا وأنا أرسل لك رسالة أخبرك بأني أشتاق إليك، ولكنك سمعتِ عن الشرطة المجتمعية التي وضعوا

fb : @3abeth

لها قانونًا؟ سيعاقبوننا على الحياة. يفعلون ما قام به الإخوان الارهابيون بغبائهم، يصنعون جبهة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمر بائس أيضًا يدعو للخوف من الوصاية المجتمعية، يستطيع أن يقبض على شخص ما لأني أسير بجوارك في شارع بوسط المدينة ولكن لا داعي للحديث عن مثل هذه القضايا الآن.

يا سلمى. ليتك كنت في القاهرة، كنا نقابلنا صباح كل يوم في مطعم للإفطار الشتوي ونخرج لنجوب القاهرة وندخل السينما وتتشابك الأحاديث حتى نتعب، ويذهب كل منا إلى منزله سعيدًا، أنا أحب السينما، وأحب من يحبها، وإذا أحببت شخصًا أريده أن يحضر معي فيلمًا جميلًا (تعرفي إن في كل فيلم جميل، بتلاقي جملة بتاعتك، عشان كده لازم تدوّري عليها، وساعتها هتبسطي بيها قوي).

يا سلمى. أشعر بك الآن وكم البؤس الذي تعانين منه معي، أخبرتك من قبل أن الفتاة التي ترتبط بشاعر أو سياسي معارض أو برسام، فتاة بائسة، سيخبرها أنه يحبها وسط الغارات والرصاص وسيجلس معها في لحظة هادئة ورومانسية يخبرها بحجم الفقراء في العالم، وهذا سبب أدعى للتعاطف معك، ولكن صدقيني أنا أتمنى الخلود بطريقتي، لا أن أبشّر بديانة جديدة، أو أن أنشر أفكارًا جديدة تغيّر العالم، الساذج من يفكّر في تغيير العالم، إننا نتكلم عن تغيير العالم وهو لا يتغير ولن يتغير، الصيرورة تغيّره والحروب فقط، لا قصيدة ولا حكمة ولا عقيدة.

fb : @3abeth

إنهم ينتظرون المخلّص لكي يخلّصهم، ذلك التافه الذي كوّن لنفسه حصنًا عقائديًا حتى لا ننساه، هو أضعف من أن يظهر، هو لا شيء، وسيظلون في انتظاره، يعتقدون أنه جودو واثنان في انتظاره، وهو يجلس في الصالة جوار صمويل بيكيت يشاهدهم ويضحك، ولكن لا داعي للحديث عن مثل هذه القضايا الآن.

يا سلمى. أنا حقًا أعاني، ولكن الإنسان طفل معلّمه الألم، ومَن لم يعش حياة غامرة بالآلام، لم يجد وقود حياته، هذا ما أقوله لنفسي كل صباح. لا أريد أن أكون عظيمًا أو مؤرخًا لحياتي وحياة غيري، لأني أكره التأريخ، فإذا أردت أن تؤرخ للكون فلا بدّ أن تكون قوادًا كي تكشط الكلمات السرية من أفخاذ النساء، ودعيني أبشرك بخبر جميل لك ولي، أننا في انتظار الشتاء، وتعلمين أني أحبّه مثلما أحبك.

الشتاء مثل رجل فرنسي يقبّل فتاته على باب المقهى الليلي. يسير مرتديًا بالطو، رافعًا قبعته منحنيًا أمام امرأة جميلة، واضعًا سماعة «إم بي ثري» في أذنه ليسمع فيروز، وينظر للعالم بدهشة، امرأته امرأة شفافة، مثل امرأة السماء، لم تلمسها يد بعد الله، يسير الشتاء بجوار رصيف يتكئ عليه سور قديم، ينظر تارة للسماء وتارة يغمض عينيه ويغنّي بصوت رخيم وعيناه تدمعان شجنًا. فإذا قرر الشتاء أن يعتلي الأرض ليركب، فليكن بجوار شباك مفتوح زجاجه مكسور، ليتنسّم هواءه، لا يعرف من بجواره، ساندًا رأسه على كتفه، يتذكر آخر مرة رأى فيها فتاته الأولى قبل أن تغادره كمحطة ترام.

fb : @3abeth

كنت أود أن أخبرك عن قضايا كثيرة، مثل وزارة الصحة والسيدة التي ولدت على الرصيف، لأنها لم تجد ثمن الولادة بالمستشفى، ولكن لا داعي للحديث عن مثل هذه القضايا الآن.. إلى اللقاء.

fb : @3abeth

الأبواب حيلة للاطمئنان

(١)

علّمني أبي أن أُتقن غلق الباب خوفًا من اللصوص، مع العلم أن بيتنا البسيط لن يُسرق، ورغم ذلك، كنا نُحكم إغلاقه خوفًا من شيء ما. تعلّمت من أبي أن الأشياء والأخلاق والعادات والأسرار لها أبواب، لا بدّ أن تدخل منها لمعرفة خطط الحاضر وسبل الوصول، فالأبواب دائمًا هي البداية، حتى إذا تقدّمت لامرأة لا بدّ أن تدخل لها من الباب، وإن لم تفعل ذلك، فأنت لص افتراضي يخشاه الآباء كل ليلة تحت الغطاء في أثناء الممارسة الشرعية.

وتعلمت أيضًا أني دائمًا أخاف من دخول شيء خفي من الباب سيطير في أرجاء الغرفة، وسيحاول أن يفلت من الشباك، لونه أزرق يجيد الطيران، ويرتدي بنطلون «جينز» و«تي شيرت» أحمر، رأسه مثل

fb : @3abeth

النعام. وسيحاول أن يقتلني أنا وإخوتي وسيحصل على البطاقات الشخصية وكرّاسات الرسم التي رسمناه فيها وشوّهنا صورته بحجة أننا نرسم شيطانًا كما علمتنا «مس سهام»، ولكنه سيحاول الهرب ولكن يا لضعف حيلته، سيموت بمجرد أن تضاء اللمبة النيون التي يسكنها الموتى الطيبون، وبعد سنوات عرفت أنه ليست هناك أشياء خفية تعيش، ولا لص غبي يدرك منزلنا، وتعلمت أن الأبواب هي لص في حد ذاتها، تجعلني أخشى الحياة والمغامرة، المغامرة التي هي روح الحياة، الباب حيلة للاطمئنان.

(٢)

الليلة أخشى أن يقتحم رجال الشرطة غرفتي، إنهم يتتبّعون خطوتي من بداية اليوم، وبالفعل سيأتون لي في المساء، أتيت بورقة وقلم كي أرسم وأدبر لهم حيلًا عديدة للتخلص منهم في ضربة واحدة، الحيلة الأولى، سأقف وراء الباب وأمسك المقشة، لا.. إنها فكرة قديمة، فعلها إسماعيل يس، حيلة فاشلة. الآن أفكر في الحيلة الثانية، سأضع تحت الباب قنبلة يدوية عند سماعي خبطًا على الباب، ستدمر الباب حتمًا وقد ينهار بعض من الحائط الجانبي الذي تسكن به المكتبة، وقد أخسر كثيرًا لأنهم لن يصابوا بأي أذي لأن الخبط ربما يكون من قطة تنهش في خشب الباب المتهرئ.

أنا فاشل بطبيعتي في لمّ خيوط الجرائم في الأفلام البوليسية ودائما ما أفكر في أصعب الحلول، على الرغم من أن القاتل دائمًا

fb : @3abeth

ما يكون بجوار البطل ويساعده على كشف الحقيقة، نسيت أهم حيلة للتخلص منهم، أخرج وأترك الباب مفتوحًا حينها لن يبحثوا عني وأيضًا سيملّون الانتظار، وربما سيأخذون صاحب المنزل بدلًا مني، «وأهي فرصة أخلص منه عشان إيجار الشهر اللي عليا».

(٣)

«الباب اللي يجليك منه الريح سدّه واستريح». أمقت هذه الجملة وضعف صانعها وسطحية وخوف قائلها، مع العلم أن غاندي أثبت عكسها، وظلّ يحارب خارج الباب، وانتصر وهو يضع الماء للعنزة لتشرب.

(٤)

أخشى الفئران التّي تقرر كل ليلة أن تدخل فور فتحي الباب، وتضحك، كل ليلة تضحك، ويضيع منها كل ليلة ضحية بالمقشة التي كنت أقف بها لكي أنتصر على رجال الشرطة.

fb : @3abeth

(٥)

تحت عقب باب غرفتي، يضع الرجل الجريدة القومية التي اشترك بها جدي ومات، تاركًا لنا معاناة قراءتها، أقرأ فيها عن رجل ملتح أحكم غلق بابه وقتل أبناءه الثلاثة بهدوء وعناية، يقف خلف الباب في انتظار أن يهرب ولكنه كان يخشي أن يراه أحد، مع العلم أنه يسكن في هذا المنزل منذ سنتين فقط (إيجار جديد)، وقال في حديثه في برنامج العاشرة مساء: «أنا عملت كده عشان يبقى إنذار لقدوم الروم، وأطلع في برنامج وأقول خدوا بالكم الروم جاية تقضي على الإسلام والمسلمين، الآن نادم على قتل الأبناء»، وقال: «هشوفهم في الجنة وحارس الجنة هيدلّني عليهم.. عشان الجنة واسعة وبتحب الناس».

fb : @3abeth

نهايات لا تليق بك

ـ في النافذة..

يقف الشاعر متجاهلا كل ما يدور حوله من خيانات ساذجة..

ورصاصة عاجزة..

وأحلام ملقاة على أسفلت لا يدرك بؤس أصحابها..

ووداع طفلة مراهقة لعاشقها المحتمل..

ومساء خاب ظنه في التقاط تفاصيل شجنية كاذبة..

ويختار أن يكتب قصيدة قصيرة جدا

عن طابور نمل يحمل حبّة سكر مهجورة، بجوار هاتفها الجوال الذي نسيته ونزلت دون وداع.

fb : @3abeth

ـ النهايات أحيانا تجبرك على احترام البدايات.. وتخبرك بأنها ليست خسارة بائسة ولكنها شهوة البحث عن بدايات أخرى تليق بك..

ـ فلا تعجز

ولا تكن مثل الشيب، حين يسحب خصلات شعرك

ويقدّمها للموت قربانا..

ـ أما أنا

فلا أريد من العالم سوى قصيدة غير موزونة..

fb : @3abeth

عن مدينة تفضّل أكل الحكايات عن الحلوى

(١)

يا سلمىٰ، أنا رجل بلا ذكرىٰ. يعيش في مدينة تتكسّب من التاريخ، وأنت تعرفين التاريخ جيدًا، وتعلمين من يتكسّب منه.

أعيش في مدينة بلا حاضر، ولا تتمنّىٰ المستقبل، الزمن فيها بلا مأوىٰ، مدينة تفضّل أكل الحكايات عن الحلوىٰ، ليس لأنها مسلية ولكن لأنها بلا ثمن، الشعراء فيها يعيشون علىٰ أطرافها بلا عنوان.

fb : @3abeth

(٢)

تعلمين يا سلمى أنه برقصة زوربا وصوت الكمانجات الحزينة يكتب الشعراء عن قصص الحب الفاشلة بعناية شديدة، أكثر من أن يلحظوا عدد الجنيهات التي يتركها لهم المارة في القبعة التي وضعوها أمامهم ليأكلوا ويشربوا.

(٣)

وقف الشاعر وسط الشارع يهلّل «كم أنا سعيد» فلم ينتبه له المارة، وذهب لأقرب رصيف ليكتب قصيدة سعيدة فلم يكتب سوى بعض الكلمات غير الموزونة عن عدم اعتناء المارة بسعادته، وبكى، فنام حزينًا على الرصيف بجوار قطته.

(٤)

تعلمين يا سلمى، لو خيّروني بين أن أكون في هذا العالم وأن أكون كهلًا في العدم أعبث باللاشيء، سأختار العدم حالمًا بخروجي للعالم، خير من أن أكون في العالم كارهًا وجودي وألعن العدم الذي أتيت منه. العدم بلا مشاعر. بلا أفكار. لا يحمل في طياته ذكريات مؤلمة تجبرني على الانحناء.

fb : @3abeth

فأنا الكهل المبتسم.

أنا الليل الطويل الذي لا ينتهي، أنا الذي لا يفارق الأحبّاء لأنني لا أملك أحبّاء. عقيدتي هي اللاشيء.

الابتسامة البلهاء التي تنتشر بلا جدوى على وجهي غير عابئ بطموح الآخرين لأني لا أملك طموحًا منافسًا.

لا أنتظر.

لا أقلق.

لا أمل.

لا أحب، وهذه أهم فضيلة في العدم، أني لا أحب. قلبي دائما مليء باللاشيء، أجوف لا خدش يؤرّقه في المساء، لا يبحث عن أغنية تلائم حرقته وجرحه.

في العدم يا سلمى لم أشعر بأني ضعيف، لأنني هنا لا مجال لأثبت أني قوي، فالكل هنا سواسية، يسيرون فرادى ولكنهم لا يحلمون بطريق مختلف عن باقي السائرين، فالكل يسير نحو اللاشيء، لا وصول.. ولا مكان.. ولا زمان، مع أنني أعيش وحيدًا في العدم، إلا أن ألفتي الوحيدة بذاتي وبملامحي الغائبة في المرآة التي لا أراها مع أني أحبها، رأيتها مرة تسير ورائي ضاحكة، فرحة بأني لم أخرجها للعالم حتى يصيبها العبوس والأرق.

fb : @3abeth

(٥)

يا سلمى، الوحيدون طيّبون بالفطرة، يقفون أمام البحر في الصباح، يبحثون عن وجوه الأحبّاء الذين رحلوا في هدوء، غير عابئين بأرق العالم، ولا بأحلامهم البائسة.

الوحيدون وحدهم.

fb : @3abeth

عم سراج.. رجل الحكايات

سأحكي لك يا سلمى عن رجل الحكايات الذي كان يرويها لنا ونحن صغار، «عم سراج»، العجوز دائمًا، منذ أن وعيت على هذا العالم وهو عجوز، يحبه الجميع، وهو لا يكره أحدًا، كان يجمعنا كل ليلة ويحكي لنا حكاية، يسردها علينا من خياله، أحيانًا كان يضع بعض الشخوص الحقيقيين وسط الحكاية الخيالية فيصبح الخيالي والحقيقي حكاية واحدة، يبكي عندما يتعاطف مع أحد أبطال حكاياته، هو يعرفهم جيدًا، ويحفظ تواريخ ميلادهم، هو من صنعهم، وشبكات العلاقات الممتدة ما بينهم، والذي يجيد التعامل معهم، ويرسم خرائط البلدات التي نسجها خياله، يعرف شوارعها كأنه عاش بها، يضع الأكشاك على نواصي الشوارع بعناية شديدة حتى لا يصيب أذى أو ضوضاء سكان المدن الخيالية، ولا يعطي الكشك إلا لشخص هادئ

fb : @3abeth

حتى يتجنب العراك بين الشخوص، لأنه يكره الصوت العالي ويكره المشاجرات، ولم يكن يحكي عن أشخاص يركبون ميكروباصات، فلم يكن عنده في بلداته أي وسيلة مواصلات مزعجة.

كنتُ أقرب شخص له عن باقي الأصدقاء، فأنا لا أسأله كثيرًا وهو يحكي لأني كنت أسير معه داخل الحكايات، ولم أزعجه بطلب معرفة إذا كانت هذه الحكايات حقيقية أم خيالية، وأحيانًا كنت أحكي حكايات داخل بلداته، ويسمعني دون أن يسألني، وأحيانًا كان يشاركني بشخوص داخل الحكايات ويكملها معي.

ذات مرة يا سلمى حكيت له عن مصنع الطوب الذي يملكه عم درويش والذي كان يبعد عنا عددًا من الكيلومترات، فقد بناه على أطراف البلدة حتى لا يصيب سكان البلدة أمراض في الرئة بسبب غبار المصنع، يقال إن هذا المصنع لم يكن لعم درويش فقد وجده عندما جاء البلدة كأول زائر واستقر بها، لأن هناك رواية كنت أصدقها وأنا طفل أن الله كان يصنع البشر في هذا المصنع، وعندما اكتفى العالم من عدد لا بأس به من البشر ليتكاثر ويكمل مسيرة الكرة الأرضية، أخذه عم درويش ليصنع لهم بيوتًا تأويهم من شر البرد وقسوة الشمس، فلم يكن السحاب قد تشكّل وولد في الكون، فكانت الشمس صافية تخرج بكل أشعتها مباشرة إلى رأس الخليقة، وكانت قريبة إلى حد ما من الرؤوس، فكان لزامًا على عم درويش أن يفكر في استخدام المصنع لتشكيل منزل ضخم يسكن فيه الجميع وقت الظهيرة كحماية من الموت الذي يترقبهم كل نهار.

fb : @3abeth

هذه الحكاية حكيتها لعم سراج، رجل الحكايات، وصدّقني عندما حكيتها بل أضاف أن عم درويش لم يكن يتكلم، لأنه فقد رئته قبل أعوام بسبب الغبار والأتربة التي شكّلها سكان البلدة وهم يحفرون بحثًا عن كنز حكى عنه عم سراج لهم مرة، وفي هذه المرة صدّقوه جميعا فأضاعوا معالم المنزل الكبير وقسّموه إلى منازل صغيرة ليستطيع كل فرد أن يبحث تحت منزله عن الكنز، ولم يعلموا أن حكايات عم سراج كانت مسلية وخيالية، ومن فرط الطمع صدقوه، وهو لم يكذب حكاياته لأحد، وسأكمل لك باقي حكايات عم سراج في المرة المقبلة، بشرط أن تصدقيني وتعلمي شيئا آخر مهما، كم اشتقت لك. سلام.

fb : @3abeth

صورة الطفولة

أكره صور الطفولة، لأنها تعرف كم بقي من العمر للانتهاء.

ـ تمسك الصور وقد تملكك الاشتهاء لكل ما فيها، بصمة اليد التي تعبت من عدد السنين، الشيب الذي انتشر على أطرافها، محاولًا إخفاء لمعة عينك العجوز، تجاعيد أصابعك التي تطل على عينيك الصغيرتين.

ـ صورة الأب المبتسم وهو يتباهى بذوائب الشعر الأسود الطويلة السبعينية، لم يكن يعلم أن هذه اللحظة ستكون ذكرى حزينة لعمر مر.

ـ ابتسامة الأم بحجاب قصير ثمانيني، التي توقفت في الصور فور سماع خبر موت ابنها في الخارج الذي تحمله على يدها وهو صغير.

fb : @3abeth

ـ الخالة التي ربّتني مبتسمة لانتظار الموت في لحظة بعد أن تآكل جسدها بسبب مرض السكر، حيلها في الدفاع عني أمام أبي عندما أخطئ، وضحكتها التي لمّا تفارقها، وسخريتها من كل شيء، كل شيء، الخالة التي أخبرتني أن هذه الحياة ليست ملك أحد، هي ملكك وحدك، فلا تتركها لأحد، لأنك إذا تركتها تجاوزتك، اليوم وأنا أمسك الصورة الجماعية أبكي لفراقها الذي أوجعني وكسرني.

ـ الستائر البيضاء التي لم تكن تعبأ بالأتربة ولا بصوت البائع الجهوري على أطعمة تذوّقها الذباب قبل أن تأكلها أنت.

ـ صوت المؤذن الذي ظل ينادي للصلاة دون جدوى، والذي أضافت عليه السنين نوعًا من السكينة والحزن.

ـ أما أنا فقد قصصت مكاني من الصور علّ الذاكرة تمحوها، ولا يكون هناك سبيل للتذكّر، وسأتعامل مع الشيب لحظة بلحظة كأنه واقعي منذ الطفولة.

ـ الآن.. لم يكن هناك أصوات تدخل من النافذة سوى الرصاص وهمهمات بعض المارة الذين يملكون صورًا حزينة، يبتسمون بها، وتجاعيدهم التي رسمت خريطة الحوائط بارتعاش.

ـ أنا الآن عجوز حزين من كسرة القلب ووجع فراق أحبتي، أنا الآن وحيد أبحث عن صور الذكريات لأضعها في صندوق مظلم بارد، لا يدخله نور، أنا الآن مكسور.

fb : @3abeth

الطبخ والغرباء على مائدة واحدة

الآن يا سلمى أستعد لدخول المطبخ، لأمارس هواية اكتسبتها بفعل الوحدة والبعد عن الآخرين، أمارسها ككتابة قصيدة جديدة عن طابور النمل الذي يستعد لالتهام حبة السكر، لو لم تكن القصيدة جديدة فلن تعجب القراء، هكذا صناعة طبق جديد قد ابتكرته لتوي، لو لم يكن جديدًا ومبتكرًا فلن يكون مناسبًا لفتح الشهية، تحضيره مثل مداعبات النساء قبل ممارسة الحب خارج الإطار الكلاسيكي للممارسة، ولن يكون التحضير جيدًا إلا لو لم يكن مزاجي الشخصي رائقًا حتى تصل لطبق جيد تأكله وقد نسيت الحروب التي تخنق العالم بحثًا عن مواد جديدة لإطعام شعوبه.

الطبخ حياة أخرى مثل الكتابة، عالم ثري اكتشافه وتعلم مفاتيحه سيجعلك أقرب إلى النفس البشرية، صناعة طبق الغداء سيجعلك أقل

fb : @3abeth

حزنًا واكتئابًا، أنا أحارب الاكتئاب بالطبخ يا سلمى، عندما تقترب مني بوادره أدخل إلى مطبخي وأجرب لعبة جديدة ومغامرة جديدة مع مكونات الطعام لأصنع طبقًا يليق بوحدتي، الطبخ هو الاستغناء عن احتياجك للآخرين، هو «مودك» الشخصي الذي تتحكم فيه، عندما تكون وحدك بمطبخك تعد طبقًا جديدًا ابتكرته، فلا حاجة لك لأن تنزل للشارع تبحث عن طعام لا ابتكار فيه، الطبخ موهبة مثل الفنون، ولا حاجة لي بأن أقول لك إن المكونات واحدة في طبق البامية، ولكن الطعم مختلف دائمًا، حياة هذا الطاجن يحدّده مودك الشخصي وحبك لصانعه، حتى وإن كنت أنا الذي طبخته لنفسي.

تستطيع أن تفهم طبيعة شعب أنت حديث العهد به من مطبخه، مثلًا لو دخلت إلى مجتمع يفضل الأكل الحار ستعرف طبائعهم الحادة ومكونات المجتمع تساعدك على التأقلم على هذا المطبخ الغريب عنك.

المطبخ خصيصة يمارسها الجميع والمائدة تجمع كل الطوائف، الكل على السواء يأكل ويجرّب الأطعمة الجديدة عليه، الإرهابي الغربي الذي ذهب إلى سوريا سيكتشف أطعمة حديثة عنه وسيجرّبها، العربي الذي يذهب إلى الغرب سيكتشف طبائع مجتمعية حديثة عليه ستقربه من حياة الآخرين الغرباء.

الطعام سلاح معنوي يستخدمه العدو في بث الرعب في نفس من يحاربه، قديمًا كانوا يرسلون جواسيس وسط العدو يخبرونهم أن الجنود يأكلون خروفًا في الإفطار قبل التدريبات، فما بالك بعد التدريبات، سيأكلون بعضهم بعضا.

fb : @3abeth

الطبخ ليس مجرد شيء تافه، ولكنه أساسي في حياة الأمم، فهو كاشف عن الهوية والجذور، والدول التي تفشل في استعمار شعوب تستطيع أن تقتحمها بأطعمتها، الكاتشب الذي استعمر الأكل الشرقي هو الرهان الذي كسبته دول junk food واستطاعت أن تترك طعمها داخل فم كل منّا، دون أن نعترض، فهناك القومي الذي ينادي بسقوط أمريكا وبيده ساندويتش الهامبرجر المحلّى بالكاتشب.

الطبخ يا سلمى لغة الوحيدين وهوايتهم، يصنعون أطباق الغربة والوحدة بمعايير تناسب وحدتهم، بداية من المقادير التي تصنع من أجل فرد واحد يمتلك العالم حينها، لا ينظر سوى للألوان المبهجة، الوحيدون يفضلون ألوان الفلفل الأصفر والأحمر والأخضر، فالطبخ هو صناعة البهجة، يحارب سواد العالم بألوان الأطعمة، أتركك الآن لكي أكمل طبق الغداء، فأنا الآن جائع.

fb : @3abeth

يا سلمى.. سأربّي أسدًا صغيرًا يعيش معي

(١)

يا سلمى، إنهم يودّعونك بلمعة عين زائفة، ويهجرونك كمحطة ترام متهالك، ويبتسمون خلسة وأنت غير منتبهة، ويربتون كتفك برعشة الخائف، وتسمعينهم يدندنون بداخلهم ابتهالات الخوف من أن تصيبهم الوحدة. يا لبؤس الوحيدين عندما يأتي الليل. إنهم وحدهم، يتذكرون ما مر من اليوم قبل النوم كوِرد مقدس، ولا يجدون من يتحدثون معهم ليخبروهم بأن ضحكة القطة التي كانت تلعب فوق كتف العجوز كانت طيبة، ابتسامة القطط خاصة بالوحيدين فقط، لا يراها سواهم.

fb : @3abeth

(٢)

يا سلمى، كنت اليوم على البحر، ووجدت وجوه الناس خائفة والبحر لا يشبههم كما كان، رأيت عين فتاة تائهة ولكنها كانت تحب. عندما تحب تسير متشيًا مرفوع الرأس، تنظر في عيون المارة وتخبرهم بأنك تحب، ورأيت في عينيها انتظارًا ما للوحدة، قرأت في عينيها البعد. عندما يهجرك الحبيب تسير بعين مكسورة وتختبئ في وجع المارة وترافق المكسورين وتستمع للأغاني الحزينة التي اخترتها بعناية شديدة معهم، لتؤنس آلامكم ووحدتكم. كما فعلت هذه الفتاة اليوم.

(٣)

يا سلمى، لا أستطيع أن أخبرك بيقين ما حتى ولو عن الموت، أحيانًا أقدسه وأحيانًا أخرى أكرهه، وأحيانًا أتعامل بلا مبالاة نحوه، وأعتقد أنه في نهاية اللعبة سنكتشف أن اليقين الوحيد في الحياة هو السؤال، حتى الموت الذي يعد تقريبًا هو اليقين الوحيد سنعرف أنه هو أيضًا سؤال (لماذا عشت دون إجابة؟) لذلك اخترت الوحدة يا عزيزتي وأبحث عن الذي يليق بي وساتركهم جميعًا يجيبون بيقين عن أسئلتهم، فسؤالي مختلف عنهم، سأجلس بجوار السعادة على بعد شارع ولن أبتعد كثيرًا عنه، حتى إذا جاءتني الفرصة أدخله

fb : @3abeth

بسرعة، يا سلمى أنا أزمتي الوحيدة في الحياة أني اخترت الحياة، لكن اعلمي أيضًا أني أقرب لك من مقطوعة موسيقى الفالس وهي تلمس جسدك لكي ترقصي على البحر ليلًا.

(٤)

عن حلمي الأخير يا سلمى، قد يبدو مضحكا لك وأنتِ تقرأينه الآن. أريد أن أربي أسدا صغيرا يعيش معي في المنزل، ألعب معه واصحبه في طريقي، يركب بجواري السيارة ليخرج رأسه منها ويأكل رؤوس سائقي الميكروباص والتوك توك والتاكسي، ويكون هذا غذاؤه، رؤوسهم الطازجة الخالية من العقل ووجع التفكير، ستكون أدمغتهم خالية تمامًا إلا من بعض الشرايين التي ترتبط ارتباطا كليا بالقلب لينبض فقط، ولكنهم يعلمون جيدًا أن مثل هذه الأشياء التافهة مثل العقل قد تقصر مسافات الحياة وتقطع الشرايين وتتعب القلب وتفسد عليهم متع الفوضى، فيسيرون في الطريق كيفما يحلو لهم، سيأكل الأسد الصغير غير البالغ رؤوسهم ويسيرون من غير رؤوس حتى يتعطلوا وتقف سياراتهم وتتحلل في مكانها دون حركة وأسير أنا سالمًا، وفي الليل سأجلب له عصير الفواكه الذي أحبه، ويشاهد معي آخر ما تبقى من الإعلاميين بعد إغلاق أغلب القنوات التي تقدم متابعة لأهم الوجبات الخفيفة، وسيكون حزينًا عندما يرى الإعلامي عمرو أديب وهو يقدم وصفة لكيفية عمل طبق المكرونة على الطريقة الليبية، لأنه سينسى بعض المقادير

fb : @3abeth

والبهارات الشهية ويضطر أن يأكلها على الهواء مباشرة، وسيصاب بمغص وتلبك معوي وسيحصل على إجازة طويلة من الإعلام.. يا لبؤس التجربة.

(٥)

أعلم أنك يا سلمى لا تقرئين ما أكتب، وربما لم يصلك أي خطاب مما أرسل إليك، يبدو أن ساعي البريد قد ضل طريقك، ولكن على كل حال، شكرًا لساعي البريد الذي يعرفني جيدًا كما يعرفك من خلال خطاباتي البائسة.

fb : @3abeth

هناك المرسومون على الجدار يرقصون يا سلمى

أعلم أنك تحبين الحكايات قبل النوم، وعندما أرسلت لك حكاية «نور ملكة البحر» في رسالة سابقة، أعتقد أنها أعجبتك، لأنها تشبهك إلى حد كبير. الآن أرسل لك حكاية جديدة، لا أعلم إن كانت ستعجبك أم لا، ولكنها مساحة لأبتعد عن الحديث في أزمة القضاء السياسي الذي يدين الثوار لمجرد مشاركتهم في الثورة، ولا أريد أن أتحدث عن براءة المخلوع مبارك المتوقعة، والتي فور أن أعلنت، أصابتني بالفزع، خاصة أن أحمد دومة في الحبس ومبارك بريء، القدر يضحك كثيرًا ويفهم جيدًا في كيفية صناعة أحداث درامية مباغتة ومثيرة.

هيا لأحكي لك الحدوتة، وتذكّري جيدًا أني أصبحت شخصًا

fb : @3abeth

منهكًا نفسيًا وقدرتي على الحياة قليلة، أحاول أن أجد نافذة أطل منها على الأمل، وأحاول أن أبتسم لنكتة عابرة قالها أحد الأصدقاء قبل أن يقرر الانتحار، تعرفين أنهم يقولون إن الانتحار قوة وشجاعة، أنا أحاول أن أخبرهم أن الانتحار ليس به قوة أو ضعف هو اللاقرار، هو يعني أنك وصلت لمرحلة اللااختيار، عدت للصفر، لطريق العدم، وهناك لا قرار ولا قوة ولا ضعف، هناك كل شيء يتساوى، القوة والضعف، لأنه لا نتيجة ولا إثارة ولا انتظار.

الآن أحكي لك حكاية «الناس المرسومة على الحيطان ويترقص في الأوضة الضلمة»، هيا بنا، أغمضي عينيك واسمعيها مني، هيا:

«في وسط الليل، بتدوّر على حلم كنت ناسيه في عينك اللي ضلمت، وتفضل ساكت كتير لحد ما تنسى الكلام، والإيدين بتعطل عن الحركة، إنت عايش في أوضة ضلمة وبتلعب مع قطة سودا، لو شافتك أو شفتها هتخبط وتجري، لحد ما دماغك تقف فجأة وتلاقي بنوتة بترسم على الحيطان بطباشير أبيض بينوّر وسط الضلمة، البنت بتكتمل وبتخرج من الحيطة وتبتسم لك، إنت ماخفتش منها، تفضل باصص ليها، باصص كتير، لأنها شبه البنت اللي كنت عايش معاها تحت المطر في عز الشتا بترقصوا وتغنوا، شبه البنت اللي باستك أول مرة، ولأول مرة تدوق طعم شفايفها واللي عمرك ما نسيتها، البنت اللي حرارة جسمها دخلت في جسمك وفضلت عايشة جواك، البنت اللي اختزلتك في بصة عين وحضن وبوسة طويلة، وحبة مطر بيغرقوا الهدوم ورقصة جديدة لأول مرة ترقصها معاها، ومن المدهش إنك بتكون متقن فيها الرقصة.

البنت المرسومة مابتكلمش لما بتحتاج تتكلم بتكتب على الحيطة،

fb : @3abeth

كتبت اسمها، لأول مرة اسم يلمع كده في عنيه، وخلت آخر حرف وش بيضحك وعليه نقطتين، وهو كتب اسمه جنبها، وبعد كلام كتير اتكتب، اترسم قدامهم شباك بيطل على سما بتنزل تلج، وصوت مطر بيهرب من الشباك، ودفاية فيها نار هادية بتدفي الأوضة الجديدة اللي عاشوا فيها دلوقتي، والقطة الشيرازي الكبيرة اللي نايمة على طرف الأوضة ولقاها نايمة على صدره بيلعب في شعرها، وهي حضناه قوي، ولفة إيديها على ضهره، الاتنين ماكانوش محتاجين يتكلموا ـ جسمها لمس جسمه وحرارة جسمها سكنت جواه، الاتنين متشبكّين ومقرّبين لبعض، لأول مرة بيحس إن فيه حد خلي كل حتة فيه ملكها، وهي جالها نفس الإحساس، باسها بوسة طويلة ماحسبش ساعتها الوقت عدى منه قد إيه، باس كل حتة فيها، وقعد يحكي لها عن البنت اللي شافها في نور جسمها اللي اتشكل على الحيطان، وقام رقص رقصته الأخيرة قبل ما يجي حد يولّع النور ويشوفهم متشبكين الاتنين في لوحة مرسومة رسمها رسام وانتحر بعد ما حبيته سابته.. وبس».

fb : @3abeth

تعليقًا على ما حدث

(١)

أفتح جوالي وأبحث عن أسماء من ماتوا من الأصدقاء.

أخبرهم أني أصبحت قطة شيرازية.

أسكن مدينة بلا اسم.

ومن حولي قرود كثيرة بلا أشجار، يأكلون المكرونة بشراهة، يقرأون كثيرًا عن حكايات بورخيس اليومية التي يحكيها في جريدة قومية يتقاضى عنها عظام جنود الحرب العالمية الثانية ليصنع بها منزلًا ضيقًا.

fb : @3abeth

(٢)

يحبّون الموت ويقدّسونه

رجال البخور يربحون كثيرًا لعملهم في ترميم عقائد القبور، وعربات الرش التي تذهب كل مساء إلى المساكن خوفًا من ظهور الرائحة العفنة.

(٣)

رجال الحروب الدولية أصبحوا الآن رجال دين في قنوات بورنو غير مشفرة، يعلقون شارات الرتب العسكرية فوق أكتافهم على جلباب أبيض قصير، ويرتدون ملابس نسائية ألوانها زاهية، يحدثوننا عن الثورات التي غيرت العالم لنشر العقيدة، وفي الليل يأكلون أطفالًا بطونهم مليئة بالسحالي الحية، يعرفون أنه لا جدوى من الحكايات التي تروي عن آدم وحواء في الليالي الحميمية التي أنتجت أشجارًا وبذورًا مقدّسة.

حكى أحدهم عن الجنة التي بها جميلات لا يُردن الزواج، والخمور التي يتحممن بها خوفًا من أمراض البكتريا التي تترك ندوبًا بالجسد، وخرائط لكون لم يتشكل بعد، والعدم الذي سيشكل تاريخه المقبل المدون بالكتاب الذي يقدمه باليد اليمنى.

fb : @3abeth

(٤)

كلاب ضالة

تشاهد أفلامًا رومانسية

تتمنى القبلة التي ختم بها المخرج الفيلم

تركب سيارات فارهة ثابتة في مكانها لأنها لا تريد أن تخرج بعيدًا عن الجراج.

(٥)

سائقو الميكروباص يأكلون الركاب من رؤوسهم في كل طريق بحثًا عن أجرة زائدة.

(٦)

الآن يبحثون لي عن منصب يلائم قطة شيرازية تكتب القصائد بلغات عدة، وتمتلك مكتبة كبيرة عن تاريخ الشعوب، وأطباق الخشاف والوجبات الشهية، وكرسيًا هزازًا لا مكان له بغرفتها الضيقة، وأكياس الكاتشب الكثيرة التي تضعها على لحوم الشيوخ المسمومة، ودبابة

fb : @3abeth

مطروحة للبيع في المتحف الإسلامي الخاص بها، والأنبياء الذين يعملون لديها في تحضير هذه الوجبات.

أنا أرفض كل هذه المناصب الإدارية التي تلزمني برداء رسمي يستيقظون من أجله مبكرًا للذهاب للعمل، أنا قطة شيرازية وحيدة، تحب الحياة ولا تقدس الموت.

(٧)

اكتب قصة لم يكتبها بورخيس لتصدر في نفس الجريدة بعد وفاته بساعات

«أجلس الآن آكل فنجاني وأشرب جدران غرفتي وأكتب حكاية إله ينوي الموت غرقًا وأشاهد فيلمًا رومانسيًا عن عاشق من مصاصي الدماء لفتاته من نفس فصيلته وأدندن أغنية غجرية، وأرقص الفالس وحيدًا وأنام».

(٨)

لافتة على باب المدينة لا نعلم من وضعها، استيقظنا يومًا وجدناها، ولم ينتبه لها أحد، مكتوب عليها «أهلًا وسهلًا، ادخلوها آمنين».

fb : @3abeth

الرجل الذي يأكل أوراق القصائد حتى تعود له ذاكرته..

فقد ذاكرته في حرب وطنية في أثناء وقوعه فوق جثث الأصدقاء..

كتب عن الأصدقاء قصائد عديدة..

وعندما احتكت مسام جسده المبلل بالدم بجثث الأصدقاء بدأت ذاكرته تتلاشى شيئا فشيئا..

حتى عاد إلى مدينته باحثا عن ذاكرته التي فقدها..

أخبروه أنها مدينته

لم يشعر بالانتصار..

ولم يعرف ما به إلى الآن..

fb : @3abeth

ولكنه أخذ على عاتقه البحث عن قصائد كتبها الأصدقاء عن بعضهم ليأكلها ويعود له جزء من ذاكرته..

أريد ذاكرتي

أنا لا أريدها

لا أستطيع أن أتذكر أسماء الأشياء.. ولا اسم هذا الزجاج الذي قطع يدي لولا أنك هنا ما كنت سأعرف أن هذا زجاج وهذا جرح..

أنا أحاول أن أتذكر كل شخص يعرفني وأقابله وأصنع به مكروها حتى يكرهني وينساني وأنساه..

لماذا كل هذا الشر؟

عندما أموت لا أريد أن يتذكرني أحد لو أستطيع أن أمحو اسمي من سجلات الحضور من الأساس لمحوتها

أنا أريد ذاكرتي

أنا لا أريدها

ملفات الذاكرة تلاشت، فتلاشى معها طعم الأشياء وماضيها.. هو لا يعلم أي شيء.. ذكريات ساكنة بداخله لا يعرف متى ستخرج.. متى سيجلس جلسات الأنس ويحكي عما رآه..

يدخل مكتبته ويتصفح الكتب.. هو لا يعلم أيا منها باسمه.. هم أخبروه بأن اسمه هذا.. ولكنه يتشكك فيما ينسبونه له.. يريد الحقيقة.. يفتح بابا سريا يطل على ماضيه خلف المكتبة.. يدخله.. يجد صورا معلقة مكتوبا عليها أسماء وتواريخ.. يسمع أصواتا هو يعلمها جيدا.. ولكنه لا يميّز أصحابها..

fb : @3abeth

يصرخ فيهم.. من أنتم؟ أنا رجل بلا ذاكرة.. تعبت من البحث.. اريد أن أنام.. واستقيظ بشهوة الحكي قد أصابتني.. أريد أن أتذكر.. بأكل قصائد عديدة لا يعلم من كتبها وفي أي المواقف.. قد تصيب قصيدة ما شرارة العقل فتنبض الذاكرة..

ـ قرأ كتبا عديدة يعلم لغتها جيدا عن أنواع الذاكرة، علّه يعلم كيف يسترجعها.. وأخبره ناشط في التنمية البشرية أن الذاكرة البعيدة هي كل ذكرياتنا وطفولتنا وأصدقاء الواجب المنزلي ومدرّس الدرسات الاجتماعية والساندويتشات وطابور المدرسة والجدة التي رحلت مبكرا.. والعم الذي لحق بها بعد شهور..

والذاكرة القريبة التي تشبه إلى حد كبير، الوجبات السريعة التي تنتهي صلاحياتها بعد فترة وجيزة.. ماذا أكلت اليوم.. الكلمات التي وضعتها في ورقة إجابة امتحان التربية القومية..

أخبروه أنه يقوّي ذاكرته ببعض ألعاب البازل وبعض الألعاب الإليكترونية وهو لا يفضّل ألعاب الترفيه.. البحث عن أغاني قديمة يحبها.. ويمارس الرياضة مع أن قدمه اليمنى لم يجدها.. وجدها بجواره نائمة.. والابتعاد عن الاكتئاب الذي لا يعلم سواه..

ـ لافتة وجدها منحوتة في جدار (في آخر الليل.. يتبقّى لك صوت شخص من ذكرى طفولة وهو يضحك وتتذكر وجهك وهو يبكي فتنام وعيناك مفتوحتان بحثا عمن أبكاك) يا لبؤسه لأنه لم يتذكر..

بعد أن قرأ كل هذه الأبحاث، ورحلته في البحث عن الأصدقاء، وقصائده الحزينة.. نسي أنه مات عندما رأى قذيفة تصيب قلبه، وهو الآن معروضة صورته على شاشة التليفزيون.. يحكي عنه

fb : @3abeth

الشجرة الغريبة التي يعيش فيها البشر

حكيت لك من قبل يا سلمى عن عم سراج، رجل الحكايات، الرجل الذي كان يشكّل العالم كما يحلو له، ويعرف شخوصه الذين يحكي عنهم جيدًا وكأنه عامل في مكتب السجل المدني، رغم أنهم أشخاص خياليون، ولكنه من كثرة حكيه عنهم كانوا يعيشون بيننا. هو من شكّل خيالي، وهو من كان يسمع حكاياتي دون ملل أو دون رفض لمثل هذه الأفكار والحكايات.

على أطراف البلدة بجوار مصنع الطوب الذي كان يملكه عم درويش، كانت هناك شجرة كبيرة يقولون إن عمرها يتجاوز مئات الأعوام، وكنت أذهب إليها كي أتأملها، وكنت أعرف أن هناك أشخاصًا يعيشون بداخلها، يسقونها ويأكلون منها وكانوا يحافظون

fb : @3abeth

على صمودها، وكنت حينئذ لم أتجاوز السبعة أعوام، ذات مرة وقفت تحتها وحفرت كي أعرف الباب الذي يدخل منه أهل الشجرة، حكى لي عم سراج أن لكل شجرة طويلة الأمد باب سحري يعيش داخله التاريخ وأصحابه. ظللت أحفر ولم أجد الباب، ثم أخذت في الخبط على جذوعها كي يخرج منها أحد وبعد فترة خرج ميكي ماوس الذي كنت أحبه، وقال لي: ماذا تريد؟ أنا الآن في راحة.. هل لك من وقت آخر تأتي لتخبرني بماذا تريد؟

قلت له: كنت أريد أن أعرف هل هناك أحد يعيش هنا؟

قال: نعم، نحن نعيش هنا، نحن كثيرون، كل شخص خارج الشجرة له أشخاص يحبّهم بالداخل، أنت مثلًا ستجد كل الشخوص الذين تحبهم بالداخل ولن يظهر لك أي شخص آخر لا تعرفه، شرط الظهور هو أن تحبهم، وأعرف أنك تحبني، ولكن اتركني الآن، فأنا في راحة من عناء العمل.

تركته كي يستريح، وعدت له ليلًا كي نلعب سويًا، ويساعني على كتابة الواجب.

ميكي ماوس أخذ على عاتقه عناء مساعدتي في حل الواجب، وكنت أنتهز الفرصة كي نحكي سويًا وأساله عن أشياء كانت تثير عقلي آنذاك، أخبرني أنهم يعيشون في رسوم على جدار هذه الشجرة، يموتون بموت هذه الشجرة لذلك يحافظون عليها من السقوط، كان يعرف صديقي ريمون الذي كان يجلس بجواري على نفس الدكة الخشبية في المدرسة، ويعرف كل الحكايات التي كنا نحكيها سويًا، حكى لي أنه سمعني وأنا أحكي لريمون قصة «بروس لي»

fb : @3abeth

الذي يسكن في منزلنا، وكان صديق جدي الذي يخرج من الأفلام ويأتي الينا ليعيش داخل تمثال مصنوع خصيصًا له يشبه ملامحه، وحكيت لريمون أنه ذات مرة أزعجه صوت القطار فخرج إلى القضبان وخبطها فانكمش القطار خائفًا، وتحول إلى صقر عجوز وطار ولم يرجع مرة أخرى، وأخذته ليشاهد ـ أقصد ريمون ـ بصمة القدم الذي هبط بها من أحد جولاته داخل فيلم كونغوفو أمريكي، ولم تمح منذ زمن طويل، وذلك لأن بروس لي لا يموت، لأنه ليس بشرًا مثلنا.

وحكى لي ميكي ماوس عن المرة التي سمِعنا فيها، أنا وريمون، تحت الشجرة ونحن نحكي عن الله، وماذا نريد منه في الجنة، وسمعنا ونحن نخاطبه: «يا الله، أنا أحبك وأريد في الجنة شجر المانجو والشوكولاتة وأبله سعاد لأني أحبها جدًا، لماذا لا تظهر الآن يا الله وتأتي معنا لنلعب؟».

هكذا كنا نعتقد أن من نحبه يجب أن يأتي ليلعب معنا. ذات مرة سألت ريمون هل الله ذكر أم أنثى؟ هذا السؤال ظل يشاغلني في طفولتي كثيرًا وكنت أطرد من مجلس الشيخ عبد الرؤوف في الجامع بسبب مثل هذه الأسئلة، ومرة وقفت خارج الفصل عقابًا على سؤالي هذا من مستر محسن، مدرس الحساب، ولكن ريمون هو من ساعدني على حل هذا اللغز، قال لي «إن عيسى ابن مريم وهي امرأة وهو ابن الله»، فهمت وقتها ماذا يريد أن يقول وفهمت وانتهى هذا السؤال من ذهني وبدأت أفكر في كيف أحبه، وكيف أطلب منه كل ما أشتهيه، وكانت أكثر الأشياء طلبًا مني ومن ريمون من الله، أن تكون المدرسة في الجنة بلا واجب منزلي حتى نذهب للبيت بعد المدرسة نلعب كثيرًا

fb : @3abeth

مع ميكي ماوس ونشاهد أفلام الكرتون حتى ننام بجوار الشجرة حتى لا نفقد ميكي ماوس كصديق.

هكذا مرت طفولتي بين الأسئلة والشجرة وعم سراج، تعتقدين أني أحكي لك حكايات أطفال، لكن يا عزيزتي هكذا كانت طفولتي، بالفعل كنت أعيش مع هذه الحكايات كأنها واقع، يا سلمى ابحثي عن شجرة طويلة الأمد، وأخبريها بكل أسرارك لتكون شاهدة عليك بعد الموت، فهي تحفظ تواريخنا بكل عناية ونظام.

fb : @3abeth

الخوف شبح يحتاج مقاتلا

في ليلة مملة تسللت إلى مقبرة مخيفة، أكسر بها حدة الزحام والتشويش. عادة كان يفعلها كتاب عظام حاولت أن أجربها علها تكون حالة جديدة أشعر من خلالها بجدوى الحياة. دخلت المقبرة أبحث عن الأشباح التي تسكن المكان والأرواح التي تطير والتي تأكل الأذن والأطراف، هل هي حقيقة أم أنها أساطير؟ ما لفت نظري هو مجموعة الأحياء الذين يعيشون هناك. لم أخف منهم. قلت لهم: السلام (صمت مريب).

رجل وامرأة يبكيان في جانب، طفلة تبكي في جانب، شاب يبكي وحده في جانب آخر. اقتربت منه وربت كتفه، ووجدت نفسي أقول له: يا صديقي.. (صمتّ لحظات وتكلمت) تعرف أني أحب هذه الحياة وأحب أن أعيشها لحظة بلحظة؟ أحيانًا أشعر أني مفتقد

fb : @3abeth

شخصًا ما قد يكون «مات أو هرب.. هعمّل له إيه، هزعل شوية وخلاص واللي هيحصل هيحصل بمزاجي أو غصب عني»، ولكني لا أنتظر الموت في سريري، أقتنص اللحظة وأخرج لها محاربًا، علها تهرب مني خائفة بلا رجعة أو أن أضلل القناص، لأنه إذا دخل بيتي بالتأكيد سيعرف أنه أنا الذي يبحث عنه، الخوف يجعل اليوم طويلًا والاستمتاع به قليل، ضع يدك في جيبك وأخرج مطواة واقطع رأس الشبح الذي يدعي الخوف، لن يأتي إليك طالما تحب الحياة.

لم يتلفت إليّ الشاب، فقلت له: أنا مثلك حزين، جئت هنا لأعيد اتزاني لنفسي، عرفت من العم خيري شلبي الكاتب الكبير أن مثل هذه الأماكن تعيدك لنفسك، وتستطيع من خلالها ترتيب أوراقك التي تربكك دائمًا وأنت بالخارج، أشعر بأن هناك حالة تفاؤل بداخلي لهذا البلد أحيها كل فترة، تعرف يا صديقي كنت أقرأ بالأمس كتابًا بعنوان «تشكيل العقل الحديث للكاتب كرين بريتون وترجمة شوقي جلال»، هذا الكتاب يحكي قصة تشكيل العقل الأوروبي، وكيف تحرك من موتة مؤكدة إلى حياة سعيدة نراها الآن، فبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية تكونت حركات الإصلاح والنهضة والتنوير، فالتحول من العصور الوسطى إلى العصر الحديث لم يكن سهلًا وبسيطًا، بل كان صراعًا ومعارك وانقسامات واتهامات بالكفر، لكنهم اقتنعوا أن المواجهة حتمية كطوفان سوف يأتي بعد عام ويدمر العالم، هل سنجلس بجواره خائفين أم نقوم للتصدي له؟ واقتنعوا بأن هناك مبادئ يجب الإيمان بها، تخلّص من حمامك القديم تمامًا، وتخلّ عن التقديس الأعمى للماضي، وحاول قراءته بشكل جديد، لأن المجتمع سيتغير حتمًا شئنا أم أبينا، وليس أمامنا سوى العمل

fb : @3abeth

والتخلص من ماضٍ مشوّه وجاء إلينا بصورة جني خرج من فانوس سحري، المشاكل لا تحل بالشعارات ولا بالعصا السحرية، نسيت أن أخبرك أن هذا الكتاب أخبرني بشيء لو قرأه رئيس الوزراء إبراهيم محلب لما ألغى عرض فيلم حلاوة روح!! (التخلص من الجانب اللاهوتي الديني الذي كان مسيطرًا على العقول، ووضعه على طريق الظلامية في العصور الوسطى، التي نخشاها الآن، لو تدخل الدين بالعالم السياسي وهذا حفاظًا على الدين وليس على السياسة فقط).

هل أصابك الملل يا صديقي، طبيعة حياتي بها ملل كبير للآخرين، تحمل واصبر.

مددت جسدي بجواره، وقلت له نم يا صديقي وبدأت أهلوس بكلام مثل «تموت الشعارات في النوم، وتموت الثقافات والحكومات في النوم، تموت الدبابات وأحلام الصغار في الملبس، وتموت بطاقة التموين وزجاجة الزيت وتموت الديانات والعقائد، وتموت الشمس والقمر وانعكاسات الضوء على عاشقين هربا للبحر، تموت حروف الكيبورد التي تسجل اليوم لحظة بلحظة، يموت الأصدقاء واحدًا واحدًا بهدوء بارد حتى يختفون خلسة منك وأنت تفكر بهم، يموت كل شيء ولا يتبقى سوى هواجس من كل ما سبق، قد تموت الأشياء في النوم وتموت أنت في الحلم، لذلك قبل أن تنام تختار أن تعيش يومك بلطف شديد وتختار الجميل، حتى إذا جاء إليك في النوم بعض منه يأتيك بحياة ولا يأتيك بموتك، هذا هو الخوف من النووووووم، خخخخخخخخ.

نمت واستيقظت مع طلوع الشمس، وجدت نفسي وحدي وما حدث كان مجرد هواجس مع الأشباح التي تسكن المكان.

fb : @3abeth

عن صفحته الإلكترونية
بعد أن رحل بعام

عزيزتي سلمى.. اليوم أفتقد الحديث معك بشدة.. لحظات تمر ترى ضعفك وقد تجسّد أمام عينيك في المرآة، يبتسم ساخرًا منك.. وتشعر بأنك موجوع.. لا أعلم لو لم يكن هناك رسائل أرسلها لك ماذا كنت سأفعل؟ حالات الانكسار قريبة من القلب وأكثرها حركة بداخلنا.. ولحظات السعادة تحتاج مجهودا ضخما كي تتحرك وتصيب قلبي فيرقص..

يا سلمى ما أصعبها حالة أن تعبث بصفحتك على حسابك بالفيس بوك وتجد صفحة أحد هؤلاء الذين رحلوا. كان صديقك وكنت تعرفه جيدًا وكنت تقابله براحة بال أو كنت تتشاجر معه وتختلف معه دائمًا، وهذه النغزة التي تصيب قلبك عندما تمر مفاجأة على صفحته

fb : @3abeth

كأنك فتحت صندوقًا كبيرًا من الذكريات.. أجندته الإلكترونية التي تركها لكي يتذكره من يحبه ويسامحه من كرهه.. يا لها من حالة تصيبك بالعجز لأنك ترسل له رسالة تخبره فيها بأنك تفتقده كثيرًا وتفتقد حديثك معه، وأنت تعلم أنه لن يرد.. تفتح الصفحة وتظل تنظر إليها مليًا وكأن كل السنين التي مرت كأنها صوت انتظام ارتطام القطار بالقضبان فتشعر بارتياح ما رغم الصخب، جسمك يرتعش لا تعرف لماذا؟ هل لأنك تخاف الموت؟ هل أصبحت وحيدًا بعده.. لا تجد من تحكي له ضعفك؟

يا سلمى.. أنا لا أعلم ما سبب نغزة القلب ورعشة جسدي الآن. أتصفح صفحته ويداخلي شعور غامض لا أعرف ما هو بالضبط.. عندما فتحت قائمة أعياد ميلاد هذا اليوم وجدته وسطهم، صورته بابتسامة رجل يعلم أنه سيموت قريبًا فقرر وضع صورة تليق بوداعه. دخلت صفحته وفتحت الرسائل المشتركة بيننا وقرأتها من جديد وتذكرت ما كنت قد نسيته. كان شجاعًا لا يخشى الموت.. الموت يا عزيزتي يأتي للشجعان لأنه قوي ويحب أن يصارع شخصًا قويًا أما هؤلاء الطيبون الضعفاء فلا جدوى في أي لحظة وهو يسحب روحًا شجاعة سيأخذ في يده ألفًا من الضعفاء.. فهم لا وزن لهم عندما يحملهم.. لا عناء من نقلهم من هنا إلى هناك.. يفكر الموت ألف مرة كيف سيخبر هذا الشخص الشجاع بشيء هو لا يخشاه.. غير عابئ به.. كيف سيخبره؟ ليجد حيلة ما ينفذ بها خطته بخبث حتى لا تصيبه لعنة الشجاع فيرتعد ولا يرجع له مرة أخرى.. هذه وظيفته ويجب أن يؤديها على أكمل وجه.. فإذا قصر في أداء المهمة التي يقوم بها سيتركها ويكون حشرة تعيش في العدم.. لا مكان ولا زمان وهذا ما يزعجه ويخافه.

fb : @3abeth

يا سلمى.. أرقام هواتفهم تظهر من حين لحين.. لم أقو على مسحهم. لا أنتظر منهم اتصالًا ولكن أرقامهم تؤنسني، تذكرني بهم. الحياة جديرة بأن تجعلك مريضًا بألزهايمر.. لا تذكر أي شيء عن أي شخص إلا لو هناك من يذكرك، الذاكرة لم تعد تسع أحداثًا وشخوصًا أخرى.

تعرفين يا سلمى أنني عندما أدخل صفحة شخص ما لا أعلمه تصيبني حالة من الحزن رغم أن هذا الشخص لا تربطني به أي ذكريات.. لمجرد أن صديقا ما مشتركا كتب كلمة وداع عادية عنه. لماذا يا سلمى كل الذين يموتون يكتبون آخر بوستات عن الموت والملل وعدم الرغبة بالحياة.. أكثر البوستات على الفيس بوك تدهشني هو ذلك الشخص الذي قرر أن يكتب وصيته قبل أن يموت بيوم واحد. أصفق له لأنه اقتنص لحظة بعينها في الوقت المناسب، وقال ما كان يريد أن يفعل في هذه الحياة، ولكن سرعان ما تجد (لينك) لصفحة تظهر أمامك عن السيدة هبة قطب وهي تحكي عن المشاكل الجنسية لدى السيدات وتنصحهم بالرياضة والصلاة، فتنسى كل هذه المشاعر والارتباك وتغلق صفحتك وتنام وتعلم أن كل الأشياء تمر.. عادي.. تصبحين على خير يا سلمى.

إلى اللقاء..

fb : @3abeth

لا مكان لي

في بلاد لا رائحة للموت فيها

.. الإشارات دليل

.. والنبيذ صلاة

.. والليل غير مخلوط بأحلام البائسين

.. وقصيدة لا تحب القافية

.. وعجوز يترك زمنه على دكة خشبية

في الحديقة ويرحل مبتسما.

fb : @3abeth

أنا العاجز
والبائس
والوحيد في ليلة الاحتفال برأس السنة.

الحيرة مسافة مراهقة بيني وبينها
الآن على مقربة منها.. ومن نهر (بو)
وعسكري الدورية غير آبه بنا.

فأنا المطارد
والشقي
والمعجوز في عامه العشرين

لوحت لها بقصيدة
فأشارت لي بمقطوعة موسيقية
فتناغمنا كأوركسترا تعزف بالإشارة

لا صوت لنا
لا مكان بعيد
لا حزن مختبئ خلف العيون

fb : @3abeth

أنا الشاعر والقصيدة
أنا المغني والقاتل
أنا وطن مهان تحت قدم انقلاب عسكري مزيف

أخبرتها عن لذة الاقتناص
وأخبرتني عن شهوة الاستماع
وتركنا بعضنا للأبد

فأنا المتسرع
والجاني
والوحيد في ليلة الاحتفال بوداعي.

... ثم
وضعنا الرسام في لوحة فنية
وترك إمضاءه بفخر القاتل المحترف
وإضاءة لمبة نيون صغيره على حائط المعرض الفني
وتركنا...
لكي يعرف سعرنا
شاعر وحيد.

fb : @3abeth

العجوز الغريب

في ليلة شتوية بعد منتصف الليل، جلست وحيدًا أنظر حولي علني أجد شخصًا يؤنس هذه الوحدة، ويأكل معي الوقت إلى أن ينتهي ويأتي الصبح ويبدأ اليوم الجديد، طلبت كوبًا من الشاي وجلست، أمامي ورقة وقلم، أريد أن أكتب، يدي مرتعشة، شارد الذهن، أملك الآن حلمًا واهنًا ضعيفًا.

اقترب مني العجوز الذي دخل لتوه من المقهى وكأنه يقصدني، وجلس وأخذ يشرب كوب الشاي الموجود أمامي، وقال لي ماذا تريد أن تكتب؟ فقلت له: من أنت؟ فقال لي: أجب، قلت: لو كنت أعرف ماذا أريد أن أكتب ما كنت جئت إلى هذا المقهى في هذا الوقت المتأخر من الليل.

fb : @3abeth

لم ينطق هذا العجوز وجلس ينظر لي، متأملًا ملامحي وأنا صامت لا أتحدث، حضرني في هذه اللحظة نص كنت قد كتبته قبل أيام ثورتنا بعام تقريبًا، قلت له: تريد أن تسمع..؟ فقال: أريد.

«أنا كتك أنا كنتك وما ختتك

أنا كنت ليلك لما كانت الشمس بتحرق القمح في غيط الفقير

ونسمة هوا باردة تغطي دراعاتك وتحضني بيها الوليد

أنا كنت الشيخ لما كنتي بتحاربي الكفار فوق سطح البيت

والدفا لما ماكتيش لاقية أصلًا بيت

وكنت الفكرة في عز ما كانت دماغك واقفة

والصوابع بتغزل قميص للطفل ليلة العيد

أنا كنت إنتي في يوم ماكتيش لاقيه فيه شهادة ميلادك وأمين شرطة بيعذبك لاجل بطاقة تموين

وعسكري المرور مشغل الطريق لغيرك والشارع كان باسمك

طب ما كنتي نمتي أو هربتي أو متي، حتى لو كانت موتة كده وكده

على الأقل كنتي هتلاقي دمعة مضمونة تترمي على الأرض تطلع بدالها ألف بلد حزينة غيرك

وتشحت حياة من تربة مهجورة وتخافي تمدي إيدك من شباك العربية للهوا يقطعهالك.

fb : @3abeth

صدقني دلوقتي إني ممكن أكون راجلك بتختاريه وقت المعارك؟

وصدقني إن اليقين مش دايما بيجي من ورا الشك؟ لأن الحياة أسهل من إننا ندور على بعض في الشارع والدنيا ضلمة»

لم يصفق لي العجوز، نظر إليّ نظرة أكثر تأملًا وقال لي: أنت تبكي على بلد كانت هناك حزينة، الآن هل تملك حلمًا ولو بسيطًا تفكر فيه؟

رغم بساطة السؤال وسذاجته إلا أنه وضعني أمام نفسي، ماذا أريد أن أكون؟ هل ما زلت حزينًا؟ هل أملك حقًا الحلم الذي يجعلني أمام نفسي أشعر بسعادة؟ حتى لو لم يتحقق؟ أخرج من جيبه ورقة متهرئة من جيب المحفظة وأعطاها لي فتحتها وأخذت أقرأها بنهم..

«على قد حلمك مد رجليك.. واوعى حلمك يزاولك

فصل حلم على مقاسك لا يكون كبير تغرق فيه.. ولا صغير فتاخد برد

والحلم طفل محتاج تدلعه وتربيه.. ولما يكبر هيبقى أكتر حاجة ليها ولاء ليك.. فاصبر عليه..

فمد إيدك واخطف حلمك.. وسيب بقشيش للجرسون اللي هيشوفك ومش هيبلغ عنك

الحلم كل ما تقرب منه بيبعد.. لأن الحلم اللي بيحبك بيبعد قوي لأنه بيخليك تعيش أكتر

احلم وعيش ومفيش خسارة في الحياة غير الموت».

fb : @3abeth

شعرت بحالة غريبة وكأنه يقول ما يدور بذهني، وكأني كتبت هذه الكلمات من قبل، والتفتُّ إلى العجوز فجأة، لم أجده، خرجت خارج المقهى أبحث عنه لم أجده، لماذا هرب؟ ومن هو؟

ورجعت إلى مكاني لأجد بطاقته القومية يبدو أنها وقعت منه وهو يخرج الورقة من محفظته، من؟ أصابتني دهشة عندما قرأت اسمه، إنه باسم شرف العجوز الذي أنتظره، والذي سيلاحقني دائمًا في الفترة المقبلة.

fb : @3abeth

ك حكاية قديمة لك

وستأتي إليّ وحيدًا

فأنا أعلم بك منك

وأقيس المسافات المتاحة بيني وبينك

لم يكن بيني وبينك أقوام

ولم يكن بيني وبينك شرطي

ولم يكن بيني وبينك شريط قطار

وشهادة ميلاد المحطات القديمة المهجورة فقط.. تجمعنا

.....

أنت وحيد..

fb : @3abeth

تريد أن تبكي لحكايات تافهة آلمتك

قديمًا رجل المترو الذي قادك أمامه كرجل سرق منه حلمًا تمناه

وأنت تدافع عن نفسك وتقول: نسيت بطاقة الرقم الوطني فقط

تصرخ: أنا لم أخطئ

وتصرخ: أنا معصوم من ممارسات العاديين

وتبكي

يضربك الشرطي

.. لكونك أخطأت في رتبته العسكرية

والتي عانى حتى يحصل عليها

ويسألك: كم من الوقت احتجت كي تصبح بارعًا في عمل إجرامي؟

تقول له: أنا لست مجرمًا

ويحدثك عن الثورات العربية التي أفسدت الشعوب

ويقول لك بصوت رخيم: أنت رجل بجسد كلب وبوجه مجرم

أنت لا تستحق الحياة.

فتبكي

وتبكي

وتبكي

fb : @3abeth

وتصرخ
كفى هزلًا
كفى
كفى كل شيء
اليوم يتوقف الوقت حدادًا على إهانتي

عزيزي
الشرطي لم يخطئ
لأنه لم يكن هناك شرطي ولا محطة مترو
أنت وحيد تخاف الجحور
وتخشى الموت في الطرقات
أنت وحيد تجري في صفحات قصيدة طويلة
وتدندن بتهتهات الشاعر المسكين مثلك
أنت وحيد
وأنا وحيدة.. وأبكي مثلك وأصرخ مثلك
فأنا لست نبية
لأن الله لم يخلق من الأنبياء نساء

fb : @3abeth

خطاب وداع روبن وليامز قبل الانتحار بدقائق

ـ ما أجمل أن يصفق الجمهور لممثل كوميدي على إحدى قفشاته الحارة، يا لها من لحظة سعادة، وأشدها قسوة حين تجيء في غير موضعها تصيب القلب بحسرة، حينما كنت واقفًا على خشبة المسرح قال لي أحد الحضور: «أنت تزوجت مرتين يا لها من تكلفة باهظة»، ورددت عليه: «الطلاق كلفني أكثر»، فضحك الجمهور وابتسمت أنا بنصف ابتسامة ولكن قلبي كان حزينًا، وأشعر بانكسار أصاب روحي، لم يعرف الحضور الذين هللوا في المسرح أني حزين، وأظنها آخر مرة التقيت فيها بالجمهور.

fb : @3abeth

ـ حاولت أن أسعد الجميع، وحاولت أن أسعد نفسي أيضًا، ولكن السعادة شيء مستحيل وصعب المنال، حين مات صديقي إثر جرعة كوكايين زائدة قررت أن أتخلّص من إدماني، أنا لا أخجل من حياتي، أخبركم أني كنت مدمنًا، وحاولت مرارًا أن أكون مواطنًا عاديًا، ولكني فشلت كثيرًا، الطلاق والإدمان كانا السبب في إفلاسي، أنا الآن مفلس، مثل شحاذ لا يجد قوت يومه، ولن أصبح الكوميديان الذي عرفه الجمهور، أنا الآن شخص عادي، إنها متعة العدم.

ـ جسدي لم يكن مثلي، روحي كانت تشبهني سآخذها وأطير بعيدًا عن جسدي، سأترك لكم جسدي قدموه قربانًا للفقراء أو ضعوه موضع تمثال الحرية الذي كان يشير للفقراء فيما مضى، الآن لا يشير إلا لحروب وجرائم، سأترك جسدي للبيت الأبيض يضعوه في خندق حتى لا يفزعهم، إذا شعروا بنقص في الخيبة ينزلون إلى الخندق ويجلدون جسدي الذي لا يشبهني، وبعدها يستكملون حياتهم بأكاذيب أمام المواطنين في الشاشات التي احتلوها بدلًا منا.

ـ شعرت للحظة أن هيمنجواي حينما انتحر كان على خطأ، الآن أشفق على نفسي أني انتظرت كل هذه اللحظات دون أن أتخذ قرارًا يشبهني.

ـ كم كنت أود أن اقدم لكم وجبات كوميدية خالصة من أي شر، ولكني محمّل بخيبات أمل كبيرة، إنهم يقدمون أطفال غزة وجبات غذاء في البيت الأبيض كل يوم، لم يفعلوها مع كلابهم المدربة على إسعادهم بقفزة على الكتف ولحس خلف الأذن.

ـ حاولت أن أقدم لنفسي العزاء بأن هناك جدوى من الاستمرار

fb : @3abeth

في الحياة وأن الأفكار تغيّر العالم، الآن فقط عرفت أن الأفكار وحدها لتغير العالم داخل الغرف المظلمة التي ننام فيها مع حبيباتنا نمارس الحب بطلاقة، هناك على الوسائد آلاف الأفكار التي تبيت بجوارنا كل ليلة، والعالم مستمر في دهس خيالنا، كيف أقف أمام الحضور بقفشة لا أقوى على إلقائها وإضحاك نفسي أولًا.

ـ المذيعة: هل يمكن أن تتواصل مع الموتى؟ روبن: أنا لا أستطيع أن أتواصل مع من يجلس بجواري، وإذا أردت أن أتواصل مع الموتى سأذهب إليهم بنفسي وأخبرك بإجابة قاطعة عن هذا السؤال.

ـ كنت أود ألا أكتب قبل وداعي أي شيء عن أي شيء، ولكن أردت أن أخبركم أني كنت حزينًا فقط فعالجت حزني. الآن سألتقي بكم مرة أخري وأنا غير حزين، وأقدم لكم عرضًا رائعا كما لو كنت طفلًا يلهو معكم، هيا بنا. الآن.

fb : @3abeth

نهايات متكررة

في الليل تسكن الأشباح جيوب الفقراء
على أرصفة شتوية موحشة
ويقبلون أحلامهم وينامون

الفقراء مثل الشعراء
يشاهدون موتهم
على شاشة ثلاثية الأبعاد
ويبتسمون..

fb : @3abeth

ثم يسيرون في الشارع أشباحا
دون أن ينتبه إليهم أحد
ويبحثون عن جيوب فقراء آخرين
ويسكنون..

fb : @3abeth

رسالة «فرجينيا وولف» لي رغم انتحارها

أكتب إليك يا سلمى عن حياة أولئك الذين انتحروا، كم يشغلني هذا الأمر، فأنا أقضي وقتًا كبيرًا في البحث عن فهم نفسية كل منهم، والذي جعلني أرسل لك هذا هو خطاب مفاجئ جاءني من شخصية لم أتوقعها، رغم موتها تتبع خطواتي في البحث عنها وعن غيرها، جاءني خطاب مسجل بعلم الوصول من السيدة فرجينيا وولف، تخبرني فيه بمعلومات عن أولئك الذين سئموا الحياة، وإليك نص الرسالة.

«صديقي العزيز..

أعرف أنك تتبع حياة أولئك اللذين انتحروا من الكتاب والفنانين،

fb : @3abeth

وتابعت ما كتبته عن روبن ويليامز وتأثرت به كثيرًا وكأنها رسالة تخصني، الانتحار يا عزيزي ليس قوة أو ضعفًا، المنتحر يخرج خارج دائرة الحسابات العادية والمتزنة، هو قرار أقرب لمرحلة العدم، هكذا جئت فجأة وخرجت منها فجأة.

أنا فرجينيا وولف، روائية إنجليزية، لعلك قرأت شيئا مني، سأسرد عليك شيئًا خاصًا عني لعلك تعرفني جيدًا، ماتت أمي وأنا صغيرة، وكانت هذه أول حالات الفقد التي غيّرت موازين حياتي، ان تعيش بلا أم كأنك تعيش بلا قلب وبلا ظهر، عندما ينخر الفقد في جدران قلبك فتصبح جسدًا قابلًا للحزن في أي وقت وتعيش حياة بائسة، كان لي أخ غير شقيق حاول اغتصابي أكثر من مرة ولم أستطع أن أخبر أحدًا، وهذا تسبب في انكسار جسدي وانحناءة من الصغر لعدم وجود الأمان، كبرت وصرت أعرف شيئًا عن الحياة. وقبل اكتمال نضوجي ماتت أختي التي كانت بمثابة أمي، انكسارات عديدة جعلت مني امرأة بائسة، لم أجد أمامي سوي النجاح في شيء ما، ولا أملك من الحياة سوىٰ بضعة حروف أجيد تشكيلها لتعبّر عني وعن المجتمع الذي أعيش فيه، فصرت أكتب كثيرًا لكي أخبر العالم بوجودي.

لكي لا أطيل عليك في الحديث عن نفسي سأخبرك شيئًا، كل منتحر يا عزيزي يختار الطريقة المناسبة له ولحياته التي يريد أن يختمها هو، هناك من يختار أن يموت وحده ويبتلع حبوبًا تجتاز شرايينه للقلب والعقل مباشرة مثل داليدا ومارلين مونرو، وهذه الطريقة لم تكن مناسبة لي.

fb : @3abeth

وهناك من يقرر الموت برصاصة متعمدة على الرأس أو داخل الفم وهذا فعل مناسب للرجال غالبًا يا عزيزي، ضغطة الزناد لوية تحتاج لبنيان رجل يقوى عليها، فهذا ما فعله هيمنجواي الذي حكيت أنت حكايته من قبل والرسام فان جوخ والشاعر اللبناني خليل حاوي الذي سمع في منفاه في أستراليا خبر اجتياح الجيش الإسرائيلي جنوب لبنان عام ١٩٨٢ فلم يتمالك نفسه والحزن غلبه وانتشر في خلاياه فأطلق الرصاص على نفسه ليتخلص من عذابات الغربة وانهيار الوطن.

وهناك من يشتبك مع المجتمع أكثر وكأنه يرفض بقاءه داخل هذه الحدود الضيقة ليرمي بنفسه من أحد الأدوار العليا التي يسكن بها وسط العامة، الذين يتأففون بسبب بعض نقاط الدم التي لصقت بملابسهم وينزعجون لشكل الدم على هذه الأرض النظيفة، ويبعد أحدهم عين طفله حتى لا يرى دم هذا الشخص الملقى على الأرض دون الاعتناء بمعرفة من هو أو نظرة حزن على فقد هذا الشخص حتى وإن كانت مستعارة، ويتذمر عامل النظافة لأنه سيقوم بعمل إضافي هو وعربة الإسعاف والمحقق، سينزلون من بيوتهم في غير مواعيد عملهم الرسمية ليحققوا في الجريمة ويسجلونها بأريحية شديدة أنه ألقى بنفسه من الدور العاشر دون وضع جملة تدين من دفعه لهذا، فهذا ما حدث مع الدكتورة درية شفيق التي حصلت على الدكتوراه من فرنسا وأسست أول حزب نسائي مصري ولحقتها الكاتبة أروى صالح التي دفعها الاكتئاب إلى مغامرة مثل هذه لتجرب حياة أخرى تريدها هي.

أما أنا يا عزيزي فقد اخترت البحر لأنجز فيه آخر مهمة لي بالحياة،

fb : @3abeth

هذا المخلوق الغامض الذي يحمل أسرارنا هو الأحق بأن ندفن فيه أجسادنا، صندوقنا الواسع الذي يتسع لخيالنا وامتلاكنا الحية والزمن، قررت أن أختم حياتي هنا، حملت في ملابسي حجارة كثيرة حتى تساعدني على ملامسة العمق بأسرع وقت، شرطك الوحيد في هذه الطريقة أن تترك رسالة ما لشخص بعينه أو عن نفسك للعالم، تخبر فيها العالم أنك لست هنا، أنت في طريقك للعدم الذي أتيت منه، ولا مناص من الذهاب، وهذا ما حدث مع الكاتب إسماعيل أدهم الذي حصل على الدكتوراه من جامعة موسكو في الرياضيات والذي ألف كتاب «لماذا أنا ملحد» والذي أثار الرأي العام وقتها، ورغم مشاركته في الحياة الثقافية بأبحاث وكتب عديدة ونجاحه العملي إلا انه سئم الحياة وقرر أن يلقي بنفسه داخل أروقة بحر الإسكندرية في عام ١٩٤٠، هكذا نحن يا عزيزي نموت.

أما عن رسالتي فقد وجهتها لزوجي أشكره فيها على تحملي الفترة السابقة، فأنا أدين له بسعادتي ولكنني لم أقو على تحمل الحياة، لذلك سأفعل ما أراه مناسبًا. إلى اللقاء.

هؤلاء رغم موتهم يا سلمى يبحثون عنا وعن كل ما يشبهم من انكسارات، وهذا ما فعلته فرجينيا وولف معي. تصبحين على خير.

fb : @3abeth

اليوم أترك ساعة يدي على باب الدنيا

(١)

عزيزتي سلمى، كيف حالك؟ أشعر الآن أني وحيد جدًا، تنتابني لحظات ساذجة كنت أشعر بها وأنا طفل، وأسير بالشوارع أردد ما أقسى هذا العالم، لماذا كل هذه الحروب؟ لم أستطع أن أشاهد مقطع الفيديو التي بثته جماعة داعش لحرق رجل الطيران الأردني المسكين، أنا لم أشاهد أبدًا فيديو فيه مقتل أي أحد ولم أجرؤ على ضغط زر بداية التشغيل، أنا أضعف من كل هذا، يخرج الجميع يرفضون ويندون ثم بعد لحظات نبحث عن فيديو جديد نغضب من أجله، الداعشيون من حولنا كثيرون لعدم وجود حريات حقيقية وعدالة، إذا أردنا

fb : @3abeth

أن نقضي على الداعشية العقلية علينا أن نحاربهم بزرع العدالة في القلوب والإيمان بالآخر، لن أتحدث في سياسات العالم ومن يصنع داعش وغيرها من أجل نشر ديانات جديدة تكفر بالبشر، كل هذا لا يهمني، ولا تهمني الأبحاث العظيمة في توثيق هذه الأحداث، كل ما يشغلني لحظات النهاية لهؤلاء المجني عليهم، اليوم فقط أتذكر صديقي المخرج محمد رمضان الذي مات بسبب الإهمال فوق جبل غريب ولم يستطع أحد من هؤلاء المسؤولين إنقاذه، كلما اشتد البرد وقسوته، تذكرته، كلما رأيت قطة شاردة، أتذكره، كلما رأيت حادثًا عابرًا من جماعات إرهابية أو ظلم من أفراد الداخلية، أتذكره، اليوم فقط أتذكره بعد أن حُكم على أحمد دومة بالمؤبد وغرامة كبيرة، لم يستطع دومة أن ينطق مثل الرقم في يوم من الأيام لأنه خارج طموحه المادي، اليوم فقط أتذكر محمد رمضان فوق جبل باب الدنيا يودعنا وحيدًا.

(٢)

اليوم لا أعرف الوقت. ولا أقترب منكم لمصافحتكم وأنتم تودعوني، وزّعوا على الفقراء ابتسامتي التي لا أملك غيرها.

ليتني أملك كيسًا من النقود، كي أشتري لعبة للطفلة التي ودّعتني مبتسمة وهي تقول:

«إلى اللقاء، ستأتي إلينا من جديد»، تركتها وأنا أبكي، لأني كنت أعرف أنه لا لقاء يتكرر بين المحبين طالما قرروا الوداع.

fb : @3abeth

لا تندهشوا لموتي، فأنا مثلكم لم أندهش، لأننا نعيش في وطن بحجم القبر، وودعنا بعضنا من قبل أكثر من مرة، اليوم لا وقت للوقت، ولا اليوم قابل للانتظار لفعل شيء ما جديد، لعبة المغامرة قد تنتهي فورًا، ولكنك ربحت الخروج من الليل وملل النهار.

أعلم الآن أن قطتي حزينة، ليس لفراقي ولكن لأنها لم تأت معي لتؤنس وحدتي في وحشة الليل على جبل مهجور، وتودعني آخر وداع.

حزين لأني لم أحضر معكم في الليل لنحجز تذكرة السينما، ونجلس آخر صف حتى لا تزعجنا همهمات العاشقين وبكاء الأطفال، السينما خلقت لتشاهدها وحدك أو مع من تحبهم، وأنا كنت أحبكم جميعًا. وسأترك بجوار ساعة يدي، رسالة سأكتب بها

«أنا أحبكم جميعًا لأني غريب، فالغرباء طيبون، ويحبون الجميع لأنه لا وقت للكراهية لأنهم في انتظار القطار دائمًا».

وسأنام في سلام، علّني أحضر يومًا وأصافح كل وجه قبلني بابتسامة حميمية، أتذكرها وحدي، فأنا لم أخرج إلا بذاكرة مليئة بالحكايات والابتسامات، إلى اللقاء.

في انتظار أن تفتح الدنيا بابها والحق بالأصدقاء لأني تأخرت عليهم.

fb : @3abeth

أنا ملاك الموت الوحيد

جاءتني بالأمس رسالة عبر بريدي الإليكتروني غريبة جدًا، كنت على وشك أن أزيلها من الصندوق البريدي خوفا من أن تكون «فيروسًا» يدمر الإيميل. كانت تحت عنوان «أنا ملاك الموت الوحيد».

من هذا الذي ينعت نفسه بملاك الموت؟ قررت أن أفتحها لأن الفضول كاد يقتلني، وجدت «ملاك الموت الحقيقي»، يخبرني أنه بعد السلام والتحية: لا تخف ولا تندهش أنا اخترتك لكي أخبرك بشيء يصيبني باليأس والخيبة. أنت وحيد وأنا وحيد. وكما كنت تقول يا عزيزي «الوحيدون طيبون بالفطرة وأنهم يعرفون بعضهم بعضا»، وانا عرفتك وأتمنى أن تعرفني. سأقصّ عليك ما أشعر به، وقررت أن أرسل لك يا سلمى نص الخطاب الذي جاءني، هو طلب مني هذا، لأنه يعرفك جيدًا من رسائلي.

fb : @3abeth

أنا ملاك الموت

لا أحب ولا أكره

ولا أنتظر

لم أسكن يومًا في كوخ خشبي

على البحر الأبيض

تمرّ الأيام مثل أعداد الموتى التي أحصدها كل يوم

بلا قلب

أنا صديق رجال المقابر

الذين لا يهابونني

اليوم فقط

فقط

أشعر برعشة في جسدي

اليوم فقط

فقط

لا أقوى على العمل

أنا الخائف

أنا القلب المهان

لن أستطيع أن أكون شيطان الليل كعادتي

fb : @3abeth

جاءتني برقية لطيفة من فتاة لا تعرفني

ولا أعرفها

تخبرني بأنها تريدني في رحلة نيلية

اليوم فقط

فقط

أنا العاشق

لم أخش موت قيصر

أو تدمع عيني من زرقاء اليمامة

ولم أفتن من عين كليوباترا وأنا أتجسس عليها في الليلة التي تختم حكاية حزينة

لم أفكر في قبلة على شفاه فتاة عذراء

تقبلني لأول مرة

لم أعرف قسوة الوداع

فلم يكن لي أب

أنا حاكم أمري

أنا المجهول الذي ينتظره الفقراء كل ليلة

أشاهد العالم من نافذتي

وأنا أدخن آخر سيجارة

fb : @3abeth

أمام شمعة رومانسية

لم يقاسمني أخ في رغيف

ولم أقطم على تفاحة الخطيئة

اليوم فقط

فقط

سأجرّب الابتسامة

وسأسحب جزءًا من رصيدي البنكي لأدفع ثمن وجبة الغداء

اليوم فقط

فقط

ساترك بقشيشًا مناسبًا لمجهود النادل

وساكون عاشقًا لهذه الفتاة

ولكن بماذا ستنادينني الفتاة؟

لم يكن لي اسم

ولا بطاقة قومية

أنا وطني

أنا هويتي

أنا الاسم والمنادى

اليوم فقط

fb : @3abeth

فقط

سأذهب قبل ميعادي بوقت كاف للانتظار

سأجرّب الانتظار واللهفة

دخلت النهار بيدي

وتركت قدمي في الليل

وجدت ورقة مكتوبة بسنين جديدة

وحروفها أشهر ميلادية

وبخط نفس الفتاة

« انا أحب الحياة..

أعتذر عن المقابلة

فأنا أقبّل عاشقي الوحيد الآن»

اليوم فقط

فقط

أنا اليائس

أنا الوحيد

أنا الموت

سحبت يدي من النهار

وتركت مكانها وردة لفتاة ما ستخبرني بالانتظار

fb : @3abeth

ليلة أن بكى الشاعر

يجلس الشاعر لكتابة قصيدة عن الحب والحزن. لم يستطع أن يكتب جملة تجبره على استكمالها، فيشعر بأن الخيال أصابه فيروس التخييل العادي غير الباهر، فيشعر أنه بحاجة لتجربة جديدة تجعله ينجز قصيدة عن الترام وعن طابور السولار وهو ينظر لسرب الجراد وهو يمر فوق رأسه ببلاهة.

يخبره الراوي بمعنى جديد علّه ينجز قصيدة ما قبل أن يقدم على الانتحار كحيلة هروب سهلة من عناء كتابتها، ولا مانع من توبيخه على الكسل.

الراوي: كنت تخشى أن يحفظ العاشقون القصيدة الوحيدة التي كتبتها من أجلها، كنت تنزعج للحظات عندما يدندن عاشق بلحن القصيدة، ويعلو صوته في الشارع بها، وتخسر خصوصية القصيدة لأنها أصبحت لفتاة أخرى بعاشق آخر.

fb : @3abeth

فصاح بصوت يشوبه شجن مفتعل:

(حاول تكون لحد. وحد يكونك. إنت الوحيد.. اللي مفيش حد ممكن يخونك).

وسمعها مطرب شعبي وقرر غناءها بإيحاءات جنسية على قناة من قنوات الرقص المعروفة، فترك حبيبته دون وداع، لأنه لم يستطع أن يكتب رسالة وداع تليق بها.

الراوي يرسل له رسالة إلكترونية عله يقرأها على مهل وتعيده مرة أخرى للحياة

عزيزي الشاعر العاجز.. أما بعد..

تحاول أن تكتب قصيدة كونية جديدة عن الليل والوحدة والفتاة التي كنت تنوي أن تسير معها وسط الطريق تحت المطر.. وتقبلها بعناية شديدة لتكون لها ذكرى وحيدة منك..

لم تعرف من أين تبدأ كتابة القصيدة، ولكنك تكتب سطرًا واحدًا.

أنا وحيد..

ولن تكتمل القصيدة.. وستقرأ عن الحروب..

وتعرف من وراء حزن جاليليو.. وإحباط سقراط

fb : @3abeth

والموت المنتظر لماركيز كل ليلة إلى أن يموت وهو يكتب..

وستعرف أن الاكتئاب لم يكن هو السبب الوحيد وراء موت صلاح جاهين، وأن حسن البنا سرق ملابس الملك فاروق الداخلية ليتباهى بها أمام المجتمع الدولي.. وستكتب رسالة طويلة لمن تفكر في أن تحبها وتمسحها سريعًا من ذاكرتك.. لتُصبك لعنة الانتظار وتنام. وسيأتي إليك رجل طيب بلحية بيضاء كثيفة ويقول بصوت منهدج (إذ قال ربك للأرض كوني لهم.. وازرعي أحلامهم في رحم السماء.. ولا تتركي وحيدًا وإلا جعلتِه يسكن بداخلي... فأنا الراجح والمؤكد والعالم والمتفرد.. أنا العاشق.. غنائي عبادة.. وأنا الرافض) وتستيقظ من النوم وأنت تضحك على لحية الرجل التي وقعت منه وهو يبكي بحرقة.. وتفكر في أن تبحث عن عمل جديد مناسب لإيجار الشقة الجديدة. وسيتهي بك المطاف وقد تجاوزت الستين من عمرك وأنت تنتظر القصيدة. عليك أن تتجاوز ما أكتبه لك لأنك الآن تستعد للانتحار. ولكن أنا مطمئن أنك بائس وأضعف من أن تأخذ مثل هذا القرار.. أقول لك. اكتب قصيدة عن شاعر بائس يبحث عن شقة بمساحة ١٠٠ متر غرفتين وصالون وحمام ومطبخ لا تطل على شيء. تشبه حالتك وأنت في العدم شرط أن يكون سعرها مناسبا لك.

fb : @3abeth

قهوة اليساري الأخير

كانت هنا سوريا. عجوز تنتظر حفيدها ليكبر ويصبح طبيبًا، شاب في انتظار حبيبته متلصصًا من وراء عائلتها ليقابلها سرًا ويراقب عربة الدورية، شاعر يكتب قصيدة نارية ويضعها في درج مكتبه حتى إذا جاء إليه الأمن الوطني يقرأها عليهم ويموت، شجرة ملت من انتظار الثمار الخريفية، وقطة شيرازية تلعب في حضن شحاذ يعزف بجيتاره معترضًا على فقره. كانت هنا سوريا.

هنا كانت سوريا، هنا رصاصة طائشة استقرت في قلب طفلة لا تعي من أين جاءتها ولكنها ابتسمت وماتت.

هنا وقف دريد لحام على المسرح وظل يردد ابتهالات درامية تسخر من قوميتنا العربية الساذجة، ويتمتم وردًا وطنيًا لكومبارس يطل برأسه من الكالوس.

fb : @3abeth

هنا مات محمد الماغوط في مشهد ساكن، مات على كرسي هزا
وبيده مسبحة يعد بها عدد الأحلام التي ماتت وهو ينظر لها بدهش
طفولية، وسورة يوسف تغلف الأجواء في ملمح ضبابي.

هنا طفل يجلس في مخيم على حدود دولة غريبة لا تعبأ به ولا بألعابه
الطفولية، يستيقظ كل صباح ويقف مشدودًا يهتف بالنشيد الوطني
(حماة الديار.. عليكم السلام) ويسأل أخته الوحيدة التي تبقت له من
عائلته: «لماذا نغني للسلام وأنا غريب؟ هل أبي سيأتي لي بالدراجة
التي وعدني بها؟ هل تقابلين أمي كل صباح وأنا نائم كعادتي لتجهيز
صحن الفطور؟ ولماذا لا تأتي لتوقظني؟ عندما أكبر هل سأظل أغني
هذا النشيد؟».. تنظر له أخته ذات العشرة أعوام وتبكي، وتخبره بأن
«النشيد الوطني محفور على جدار منزلنا القديم»، وهي تعلم أنه لم يعد
هناك منزل، ولقد مات القديم. هنا كانت سوريا.

وهنا يجلس اليساري الأخير ويسأل صديقه: «لماذا استقلت سوريا
عن الدولة العثمانية عام ١٩١٨، وذهب الفرنسيون عنها ١٩٤٦؟ هل
هي حتمية تاريخية في التغيير والتبديل؟ ولماذا لم يدرس هيجل فن
الكوميديا بدلًا من بحثه في نظرية التطور؟» يعرف اليساري الأخير
أن الإجابات تأتي حزينة دائمًا، ولكن لا مانع من حزن طفيف يداعب
فنجان قهوته الصباحية التي اعتاد عليها.

هنا وقف السومريون والآشوريون والفينقيون ورقصوا الرقصة
الأخيرة على أنغام شامية حزينة.

هنا زهرة وحيدة، تنام في حضن صخرة منسية، كتب عليها
العاشقون أسماءهم ولم تمح، لعل هذه الزهرة تحكي تاريخهم يومًا إذا

fb : @3abeth

جاءت قدم هذا الطفل الذي يبيت كل ليلة في مخيم على حدود دولة ما غريبة، هنا كانت سوريا.

fb : @3abeth

اليوم عرفت لماذا أكتب

لا أعرف السبب الحقيقي وراء الكتابة، والسعي وراء خيالاتها المبهمة والغامضة. كنت أعتقد وأنا صغير أني سأكتب لأغيّر العالم، وظللت أكتب وأكتب والعالم لم يتغير وليس لدي ما أقدمه للعالم لكي يتغير بالطريقة التي أرتاح لها، وأعتقد أنها أصبحت جملة ساذجة لا تناسب العالم الآن، فالحروب وحدها قادرة على تغييره، لكن الأفكار والجمال والأديان هي رومانسية تناسب طفلًا يحرك أطرافه لأول وهلة ليكتشف العالم، وفور سماعه صوت الرصاص يبحث بعينيه عن المكان الذي يأتيه منه الصوت ويظل يبحث طول عمره حتى تأتيه مباغتة رصاصة ولن يسمع أصواتًا بعدها.

قلت: «أنا أكتب كي يحبني أصدقائي أكثر»، كما كان يرددها ماركيز، وظللت أكتب ولم أكتسب صداقات بفعل الكتابة، ولكني اكتسبتها

fb : @3abeth

بفعل الحياة والمصادفة، أعتقد أنني لم أترك شيئًا يذكر ذا قيمة بعد موتي، كل ما حدث أنني عشت الحياة فقط مثل أي مواطن غير صالح، عشت بها ولعبت بي، ولم أدرك هذا إلا وأنا على مشارف الأربعين، مساحة بائسة باقية أتحرك بها، محدودة، تجعلك تتذكر كل الذين رحلوا في سلام دون أن يتركوا جرحًا في قلب الحياة، رحلوا بهدوء المقاتل الخاسر، وأنا المقاتل الخاسر الذي صمم أن يخوض المعركة لآخرها.

تذكرين حديثي عن الأحلام والتي يجب أن نذللها لكي تكبر معنا ونقدمها قربانًا للزمن؟ هذه الأحلام شاخت قبل أن تتمدد خريطة التجاعيد في أجسادنا، كنت تضحكين وتقولين: مجنون أنت، الأحلام لا تشيخ ولكنها تتجدد. وكنت أبتسم بنصف وجهي ساخرًا من نظرتك للحياة، كنت أكثر ذكاء مني، كنت تعرفين الحياة أفضل مني، أنا كنت مجرد ساذج ينظر للعالم برومانسية فقضت عليه الحياة بقسوة، كنت أكتب يا سلمى وأعتقد أن كتبي ستعيش معي، ولكنهم حوّلوا الأمر لبضاعة استهلاكية، ستموت أعمالك فور موتك، لأنك لن تكون «بيست سيلر» على أرفف المكتبات الكبيرة، ولن يدفع لك شخص لتزويد عدد «الفلورز» في صفحتك الإلكترونية، ستقلص وتنكمش وتصبح كالبيت المهجور ثم يغلقها الفيس بوك ليضعها مساحة خالية بعد تنظيفها من الركام الذي كان بها ويقدمها لشخص آخر يدفع أكثر.

ولكن في بداية مثل هذا العام أعتقد أن السماء تمطر الآن، أحلام جديدة وناس حلوين ومزيكا لبنك فلويد. وأعتقد أني وصلت لسبب سعي وراء الكتابة، عرفت أنني أكتب كي أعيش سعيدًا فقط، وهذا في حد ذاته شيء لو تعلمين عظيم، لولاها ما كنت تواصلت

fb : @3abeth

معك، ولولاها ما كنت رقصت في الشارع تحت الأمطار سعيدًا فور كتابة آخر قصيدة، ولولاها ما كنت سامحت البعض وتركت مساحة طيبة للتسامح لم أكن أمتلكها، أعتقد أن مثل هذه البدايات كفيلة بتغيير العالم كما أراه، فأنا العالم ولا شيء سواي، والآن عرفت لماذا أحتفظ بالوحدة، لأني لا أملك خططًا جديدة لتغيير عالمك أو عالم أي شخص آخر، فأنا مسؤول عن عالمي.

بداية الأعوام قد تبدو سخيفة ولكنها أيضًا تطلعني على جديد لم أكن أفكر فيه، فمثلًا اليوم كنت أفكر وأنا أعبر الطريق أنه في كل لحظة مغامرة مع الموت أنتصر، انتصاره قد يكون لمرة واحدة ولكني كل لحظة أنتصر عليه وأعيش وأتنفس، لن أستسلم له لكي يحصد نجاحه الذي ينتظره، فأنا القلب الذي قرر الحياة ويحاول أن يعيش (مبسوطا). قد تكون بداية أجمل لو وصلني منك خطاب يطمئنني أنك بخير. يا سلمى. أنا أحتفظ بكل هدايا المناسبات السابقة التي لم تحضريها معي، مسجلة بتاريخها في الصندوق الكبير أسفل سريري. محبتي.

fb : @3abeth

الذين أحبهم يا سلمى

fb : @3abeth

الليلة الأخيرة في رأس الراوي

خرج العم خيري من بلدته الصغيرة باحثًا عن شخوصه وسط القرئ والشوارع التائهة في مدن كبيرة، مدن موحشة، يحيطها الخطر وتغلّفها نسمة هواء مرتعشة بين الحين والآخر، في كل قرية يجوبها العم خيري يلمها كقطعة قماش ويضعها برأسه.

ما من قرية رآها إلا وشكّلها واختار لها مكانًا يناسبها داخل رأسه لتكون جزءًا من قرية واحدة يملكها وحده، ويجمع شخوصه ويهندمهم ويصبغهم بروحه، وفي كل ليلة يجمعهم العم خيري ليحكي لهم قصة أحدهم على الملأ وكيف حضر إلى رأسه ولماذا، ويسمعونها من باب النميمة، يضحكون أحيانًا على صاحب القصة وأحيانًا يتعاطفون معه، فيتسارع كل منهم ليقبله ويربت رأسه بحنو وعطف،

fb : @3abeth

هكذا علمهم العم خيري، أن القلب يحمل الحكايات النظيفة ويحمل المحبة، هناك سؤال يتبادر لأذهانهم كل فترة، لقد سمعنا حكاياتنا ولم نسمع حكاية العم خيري، لماذا لم يجمعنا في يوم ليحكي لنا كيف جاء وكيف انتزع من الحياة وجوده وكيف تشكل وجدانه؟

العم خيري في قلبه سر لم يخبر به أحدًا، وفي رأسه أناس لم يرحلوا، يأكلون ويشربون ويكذبون ويلعبون، لا يملكون قوت يومهم، يغدق عليهم العم خيري كل ليلة نورًا وحياة ليكملوا حياتهم ويملؤون قريتهم بالصخب، ويشيّدون ما تبقي من مدن قديمة ويلعبون بالنهر، كل منهم يدرك حجم ابتسامة الآخر، أعينهم لامعة طوال الوقت من غياب النوم.

تجمهرت شخوصه أمام مكتبه وظلوا ينادون عليه: «يا عم خيري.. يا عم خيري»، خرج لهم العم خيري مبتسمًا، وظل يحدق في كل وجه، وكأنه يخبر كل وجه بشيء يخصه، طلاسم لا يعلمها إلا صاحبها (ليست هذه عادته يا صديقي) قالها شخص لآخر وهو في حالة دهشة، ثم تكلم العم خيري بحكمة العارف بالله: «أعرف ما يشغلكم في القريب العاجل سأخبركم وأجيب عن ما يدور برؤوسكم جميعًا، أكتب الآن كل حكايتي علّي أستريح، أريد أن أستريح، لقد تعبت، أريد أن أسكن وحدتي التي ظلت تطاردني طوال حياتي وأريد أن أسجّل كل شخوصي ولكن يبدو أن الوقت ليس دائمًا في صالحي، ولكنني أشهد أني سعدت».

هتف أحدهم: نتركك الآن لتستريح ونلتقي بعد يومين لتحكي لنا.

fb : @3abeth

هز العم خيري رأسه ثلاث مرات معبرًا عن موافقته، وانصرف الجميع ببطء شديد.

وفي الليلة الأخيرة التي من المفترض أن يجمعهم العم خيري ليحكي لهم حكايته وسره، مرت على القرية غمامة حزينة، هناك شيء ما سيحدث بالقرية، اليوم تتوقف ماكينات الطحين والساقية لم تعد تلف، شخوصه في بيتوهم لا يتكلمون، يعلمون أن الموت على باب القرية وفي طريقه للعم خيري فأخبروه.

لم يخش الخبر ولم يرتعد، وقف مبتسمًا وقال: أنا انتهيت من كتابتي، والآن سأشرب كوب الحليب وفي انتظاره، وإذا رأيتموه لا توبّخوه فإن هذا عمله، لا تضايقوه، لقد أخبرني بقدومه قبل يومين، فله جزيل الشكر.

تناثرت دمعات بسيطة دون أن يلحظوا من عين العم خيري، ثم قال: سأفتقدكم جميعًا، وسأفتقد أنس الحبايب والابتسامات الموزّعة عليكم بالتساوي، سأفتقد روح الأحباء التي صاحبتني طول الطريق، سنغني سويًا أغنية دون بكاء «الدنيا ريشة في هوا..طايرة ما بين جناحين.. وإحنا النهارده سوا ويكره هنكون فين..في الدنيا».

الأعين «تغرغرت» بالدموع وأكملوا الأغنية بالبكاء، وراح العم خيري يحضنهم واحدًا تلو الآخر وعينه تنهمر منها الدموع وقلبه به رعشة صعدت لجسده، وحضر ملاك الموت، وصعد به ببطء شديد، ملاك الموت يبكي ويغني معهم «الدنيا ريشة في هوا».

وبعد لحظات وقف طفل صغير وهو يلوح للعم خيري، وقال: مع السلامة يا عم خيري.

fb : @3abeth

(٢)

سر خيري شلبي

استيقظت في ذلك اليوم البعيد مبكرًا على خبر وفاة الكاتب الكبير خيري شلبي، في كل لحظة بعد سماعي الخبر، كنت أهرب منه كي لا أصدق أنه مات بالفعل، أغلقت هاتفي حتى لا يتحدث معي أحد الأصدقاء ويقول لي إنه مات.

سحبت كتابًا موقعًا بخط يده وجلست في البلكون، وظللت أنظر للإهداء فوجدت نفسي متلبسًا بالبكاء، فهل مات عم خيري حقًا؟ لا أبكي إلا لشيء قاس، وما أقسى فراقك أيها الحكّاء الأعظم.

يا الله، أتذكر مكانه في مكتب دار ميريت على الكرسي المخصص الذي لا يجلس فيه سواه وقت حضوره، ويحكي دون ملل «الله يجازيك يا عم هاشم مكتبك عودنا على ناس بنحبهم عشان يموتوا».

fb : @3abeth

كان العم خيري يعرف الحكاية كما يعرف نفسه، فكان تلقائيًا في حكيه، يحكي تفصيلة في شخصية كأنه يحكي عن طفولته، وقدرته على جذبك لسماعه بشغف.

صادفني الحظ أن التقيه بدولة الإمارات بمعرض أبو ظبي، ولما قبلنا أنا والأستاذ محمد هاشم صاحب دار ميريت، قال: «لازم تيجوا تقعدوا معايا في الفندق»، قلت له: يا عم خيري إنت أكيد تعبت من السفر وعايز تستريح، قال لي هستريح لما أروح مصر».

وكانت بالنسبة لي فرصة كي أسأله عن أشياء كثيرة تشغلني في الكتابة وعنه هو شخصيًا.

قلت: «هسألك سؤال محيّرني، إنت بتكتب كتير قوي يا عم خيري، ربنا يديك الصحة، بس الفكرة في إن الكتابة طاقة وطاقتك أكبر من طاقة الشباب»، تصورت أنه سيتضايق ولكنه ابتسم وقال: «أنا بكتب في الأساس لأني بدور على سر».

قلت له: «سر؟ سر إيه يا عم خيري؟».

قال لي: «ما هو أنا لو عرفته هبطل كتابة»، وقال لي: «الناس اللي حواليك كتير وكل شخص جواه حكاية ينفع تتحكي وينفع تلاقي فيها فلسفة خاصة، الفلسفة مش عند المثقفين بس..لا.. الفلسفة عند الناس العادية وساعات بتكون أعمق لأن مفيهاش فذلكتهم وتصفية حسابتهم.. الحياة دي يا ما فيها حاجات غريبة كأنها واقعية سحرية وأصبحت واقعية عادية جدًا عشان إحنا صدقناها».

صمت للحظة وابتسم وأمسك فنجان القهوة بيده التي يسكنها

fb : @3abeth

خاتم كبير يميزها وكأن به سرا يخص خيري شلبي وحده، وقال: «أنا مثلًا من الحاجات الغريبة إن أنا بحبكم فه في الله مع إنكم أشرار، بس أنا شرير زيكم». ضحكنا وقال عم هاشم متأثرًا: «إنت طيب قوي يا عم خيري ماتقلش كده».

قال: «لا يا هاشم أنا شرير ومجنون، حد يسيب الدنيا ويروح يقعد في القراقة ويبقى عاقل؟ ولو كنت عاقل ماكنتش هبقى خيري شلبي».

كان عم خيري يهرب من الموت بالحياة داخل الموت، يذهب ليعيش بجوار الموتى، وهروبه ليس خوفًا، ولكنه لقاء حبيبين، فهو لم يخش الموت يومًا، كان يطمئن له وكأن لديه معه علاقة حميمية، فلن يغدر به دون أن يخبره، حتى يكتمل مشروعه.

سألته: «يا عم خيري ليه ماكتبتش سيرتك الذاتية؟».

قال: «الكاتب الذي يبحث عن كتابة سيرته الذاتية هو كاتب يبحث عن موته».

وآخر ما كتب عم خيري سيرته الذاتية، فلم أنتبه إلى أنه يبعث برسالة موته إلينا جميعا ولم نلحظ هذه العلامة إلا بموته، وكتبها بعنوان «أنس الحبايب»، لأنه فعلًا لم يقابل شخصًا ويكرهه، كان يعيش الحياة كما هي، يحبها بقلب طفل عاش بقريته وينزل لأول مرة ليرى المدينة، طوال حياته يكتشف الأماكن والأشخاص ويكتبهم علّه يعرفهم جيدًا، وكلما زيّن اسمه غلاف كتاب، تعرفت على أنماط جديدة، أنت رأيتها، وهو شعر بها وكتبها، حتى آخر لافتة كتبت عليها اسمه «عزاء المرحوم الكاتب الكبير خيري شلبي».

fb : @3abeth

ظللت طوال العزاء متماسكًا إلى أن شاهدت اللافتة يزينها اسمه فبكيت، يا لها من لحظة قاسية، الاسم الذي كان يزيّن أغلفة الكتب والجرائد يزيّن آخر لافتة موقعة باسمه، لافتة وداعه، الله يرحمك يا عم خيري.

fb : @3abeth

شارب وتجاعيد حزينة في الشقة الجديدة.. وكأنه إبراهيم أصلان

(١)

في الفترة الأخيرة اعتاد النزول وكأنه يهرب من لحظة ما، يعلمها جيدًا.

بعد عزاء العم خيري شلبي حكّاء القرية، انصب حديثنا حول إبراهيم أصلان ماذا سيفعل دون خيري الذي كان صديقه الذي يهرب فيه، وبدأ كل منا يثبت وهن العجوز أصلان وراح الحزن كقطار بطيء يمضي نحوه.

يقول أحدنا: رأيت عينه تدمع بغزارة، رغم أننا نؤمن بأن وجع

fb : @3abeth

القلب والذكرى أقوى من دمعة تنهمر لحظة الوداع، فيرد الآخر رأيت ارتعاشة جسده زادت وظهر الوهن على جسده، لقد رأيته شاردًا.

كلنا جميعا نعلم أننا نبحث عن أي مدخل للحديث عن خيري وأصلان في نفس اللحظة، وختمنا العزاء بـ«ربنا يديك الصحة يا عم إبراهيم، فأنت الأستاذ الأخير».

لكن نزوله في الفترة الأخيرة بغزارة كان يحاول به أن يقنع نفسه بشيء هو يرى عكسه، مثل الشيخ حسني الذي ظل يحاول طوال «مالك الحزين» (الكيت كات) ليقتنع أنه أعمى، صنع كل التفاصيل الحياتية التي يقوم بها إنسان عادي، لو قمت بحذف كلمة «كفيف» فتقول: عادي ما أي واحد بيعمل كده، ولكن لو أخبرت السامع بعد نهاية القصة لجحظت عيناه من الدهشة، ويقول: سبحان الله.. كفيف؟ بيعمل كل ده؟ ما أصعب أن ترى العالم وحدك.

(٢)

كان أصلان في الجلسات الأخيرة مدهشًا في إيقاع الحكي، يصمت للحظات طويلة ثم يحكي نميمة تضحكنا لليوم التالي، لم يحك في الفترة الأخيرة حكاية مؤلمة حتى وإن كان يحكي عن خيري شلبي الصديق القديم، كان يختار حكاياته بعناية شديدة كما لو أنه يكتبها، فتقول في سرك: «والله دي قصة قصيرة»، لذلك أسموه الجواهرجي.

fb : @3abeth

(٣)

عندما علمت برحيل أصلان من شادي ابنه، صاح وهو في حالة انهيار «إبراهيم أصلان مات يا باسم»، وظل يبكي.. لم أستطع الرد.. صدمة عظيمة.. ذهبت إلى الأستاذ محمد هاشم وذهبنا للمنزل الجديد بالمقطم.. شقة لم تترك ذكرى في حكاية طريفة يحكيها لنا عم أصلان، لأنها استقبلتهم قبل أسبوعين من موته غير مقاله الأخير «العزال» وحكى فيها معاناة العزال ونقل الكتب، لم تتعرف جدران هذه الغرفة بتفاصيلها على تجاعيد العجوز الحزين، يا لحظ شقة «الغرفتين والصالة» لقد كرّمها أصلان أفضل تكريم.

دخلت بيت أصلان الجديد، لم أستطع أن أدخل غرفته وأراه ممددًا أمام عيني بلا حراك، ولا ترحيب منه بنا كما عودنا، لم أستطع أن أراه مغمض العينين مجبرًا. يا لقسوة الموت. وعندما علمت بالجنازة، أيضًا لم أستطع أن أراه ممددًا في صندوق مودعًا كل تفصيلة رآها، مودعا الأصدقاء والأحباب، كما أني خائب في فن الوداعات.

(٤)

كل مرة يقول لي: «إنت ما بتجيش تزورني في البيت ليه يا باسم؟».

أرد عليه بحرج: «حاضر لازم هعدّي عليك يا عم إبراهيم، هكلّم شادي وأجيلك».

fb : @3abeth

والمرة الوحيدة التي قررت فيها زيارة عم إبراهيم في البيت، يوم لم يقف لاستقبالي فيه، هو اليوم الحزين في الشقة الجديدة.

(٥)

وترحل غرابة المألوف وتجاعيد العجوز الحزين والشارب المميز.

يرحل إبراهيم أصلان.

يا لقسوة الموت.

fb : @3abeth

أمل دنقل والقطار الأخير

في محطات القطار تتسع الرؤية، تتوافد الجموع بحثًا عن طريق، تتوزع الوداعات على عيون من ينتظر ولمن لا يشغلهم عناء السفر، هناك في محطة القطار البعيدة، كل شيء ينتظر.

حقائب حزينة على فراق الأرصفة، بصمات القدم المتسخة بطين الشتاء، ساعة عامل النظافة التي وقعت من يده بملل، عيون تائهة تنظر لبعضها بعضا بحثًا عن مثول القطار أمامهم وظهور الغريب.

لم يكن هناك الكثير من المودّعين.

يد العامل تعبث بالمذياع ليؤنس قلبه بتشوشات موجاته الهادئة.

لم يأت القطار، والكل في الانتظار.

ـ لقد وعدنا في هذه المحطة البعيدة أن نلتقي (صوت تهامس

fb : @3abeth

مع من بجواره دون أن يلتفت له) فيرد الآخر: لقد عاش أمل دنقل بنصف حياة وبنصف نفس، ولكنه كان يملك حلمًا مكتملًا وقصيدة مقدسة.

ـ العامل: لقد وعدني بمقابلة بسيطة ليخبرني فيها عن الموت وعن الآلام، أنا مثله مريض.

تظهر من بعيد حبيبته الوحيدة التي رافقته في أيامه الأخيرة، والتي عرفت قلبه قبل أن يلوّثه المرض، قالت: أخبرني بالمجيء، بعد أن لملم أمامي في حقيبته حزنه وأبطاله الذين شاركوه الألم والطريق، خرج من الغرفة رقم ٨ ليكتب برقية عزاء لا أعرف لمن سيرسلها، ولكن وجهه كان مبتسمًا بابتسامة معدة مسبقا لاستقبال الموت، عينه لامعة، جسده النحيف الذي رقص فرحًا، قال لي مرة ما أشد هذه الآلام الغامضة التي اخترقت جسدي وانتشرت دون مبرر. إنها آلام تربك مزاجك الشخصي وأنت أمام فتاة تقبّلها لأول مرة في مكان عام لتفتح عذرية الطريق والخلود.

صمتت لحظة واستأنفت الحديث وقالت: نعم لقد وعدني بالمجيء، هل وعدكم أيضًا؟

هناك على مرمى البصر، نسوة متشحات بالسواد تحت مصباح

fb : @3abeth

فقير، ذابت أعينهن من التحديق في الحزن، والأصدقاء الذين شاركوه المقهى والذين بحثوا معه عن أسئلة وجودية كبيرة وجادلوه حول ماهية العدم، إنهم ينتظرونه بالإجابة عما دار من قبل في رؤوسهم.

سبارتاكوس يصلي بآياته الحزينة.

فجأة، المذياع يثبت على موجته المشوشة، ويلحظون صوتًا، عيونهم تبحث عن يقين يخبرهم بأنه هو.

ـ نعم هو، أعرف صوته جيدًا.

ـ رأيته مبتسما مرة، وسمعته يغنّي نشيد القوم الطيبين.

ـ أنا حبيبته وأعلم أنه هو، لقد قال لي بنفس الصوت أنت والحب والحياة سواء.

الصوت يعلو شيئًا فشيئًا حتى وضح تمامًا، وهو يقول: «أيها السادة، إليكم المزج الأخير، المجد للشيطان معبود الرياح، من قال لا في وجه من قالوا نعم، من قال لا لم يمت، وظل روحًا أبدية الأثر، يا إخوتي: معلق أنا على مشانق الصباح، وجبهتي بالموت محنية لأنني لم أحنها حية، يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين منحدرين في نهاية المساء، لا تخجلوا ولترفعوا عيونكم إلي، لأنكم معلقون جانبي،

fb : @3abeth

لربما إذا التقت عيونكم بالموت في عيني، يبتسم الفناء داخلي لأنكم رفعتم رأسكم مرة، البحر كالصحراء لا يروي العطش، فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق، فسوف تنتهون مثله غدًا، وقبلوا زوجاتكم، هنا على قارعة الطريق، فسوف تنتهون ها هنا غدًا، قبّلوا زوجاتكم، إني تركت زوجتي بلا وداع، وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع، فعلّموه الانحناء».

يحضر القطار ويركبون جميعا دون أمل دنقل، الذي يقول مودعًا المحطة: «الله لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا، لا تحلموا بعالم سعيد، فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد، وخلف كل ثائر يموت، أحزان بلا جدوى».

المحطة هادئة بلا حياة، صارت قبرًا وكتب عليها «هنا يرقد أمل دنقل».

fb : @3abeth

مارادونا.. يد الله الذهبية

خرج مارادونا من الاستاد لا يعرف إلى أين يتجه. إنها ليلة الاعتزال، ما أشدها على النفس، ليلة يختم فيها حياته، ليلة يرى فيها كل لحظة مرت عليه ويتذكرها بحنين شديد، ليلة يتمنى الموت فيها قبل أن يلتقط منها آخر صوت لصدى تصفيق جمهوره وهو يودعه.

إن هذا الصوت يأتي إليه كل ليلة مبتسمًا مربتًا كتفه ويقول له: لا تحزن إنه صوت تكريم، ولكن مارادونا كان يعلم أن هذا الصوت يأتي للضعفاء والعاشقين الطيبين، الذين خسروا حبيباتهم في طرقات نابولي، ويأتي للممثل الذي فشلت إحدى مسرحياته فاعتزل التمثيل فقرر جمهوره تكريمه على نهاية مشواره، شعور بالفقد والحزن والشفقة، أنا الطفل المدلل، الآن صرت الرجل الذي يلعب الكرة للترفيه كرجال المعاشات، لا مسؤولية عن مكسب أو خسارة، لقد فقدت حياتي، ومتعة المغامرة.

fb : @3abeth

في ليلة الاعتزال، لملم مارادونا نفسه وذهب إلى بار رخيص، عادة يفعلها كلما زاره الإحباط. فعندما أحبط رجال المافيا حلمه بجرعة كوكايين كان يذهب للبارات الرخيصة، ويغني ويرقص مع الصغيرات العذارى، لا يعرفهن ولكنهن يعرفنه جيدًا. هو ذلك الطفل المدلل الذي وصل الشيب لرأسه وما زال يلعب ويحطم الألعاب.

خلق الله آدم كفكرة لبداية الخلق، واكتسب النبوة بمعجزة البداية ومعجزة الخطيئة، لكي يبشر بمخلوق جديد اسمه إنسان، وخلق الله مارادونا معجزة بمهارات منذ الطفولة وكيفية صياغة الهواء المغطى بقطعة جلدية وخطيئة شيطانية الصنع، صفق العالم له على خطئه عندما مدّ يده من فوق رأس الحارس لتصبح أشهر لقطة كروية، وكاد يقترب من عالم النبوة والتميز، لقد اكتسب الخطيئة الكونية ولكن المافيا الإيطالية حالت دون اكتمال حلم النبوة فلفظوه خارج عالمهم، وصار يتسكع في الحارات بحثًا عن نظرة عطف في عين سيدة عجوز كانت تعمل فتاة ليل وتعرفه جيدًا.

غازل بالكرة جمهوره ولعب بها كطفل صغير يركب دراجته في جزر مالفيناس، لذلك عشقه جمهور برشلونة الثري الذي يملك المال لشراء موهبة وخيال لاعب مثل مارادونا، فدفعوا ٨ ملايين من الدولارات ليصبح أغلى لاعب في العالم، كانوا يعلمون أن برأسه أفكارًا كثيرة وخيالًا سيمتع الجمهور، ولم يقتنع بمقولة (الكرة أجوان) لأنه لم يعرف يومًا كابتن لطيف ولم يستمع إليه وهو يعلق على ماتش الترسانة والمختلط، ولكنه كان يؤمن بأن الكرة متعة تمارسها كما لو أنك تشاهد راقصة ترقص أمامك وحدك على أنغام الفلامنكو.

fb : @3abeth

مالت عليه الفتاة وسألته: لماذا أنت حزين هكذا؟

جحظت عيناه وقال: أنا حزين لأنني لم أصنع كل شيء، في مراهقتي كنت أؤمن أنني سأصنع كل شيء وسأموت وأنا في حالة سعادة داخل الملعب والجمهور يغني لي، الآن أنا مجرد لاعب عجوز أهلكه الإدمان وشخص يتعاطف معه العاديون، هل تعلمين أنني لا أنظر إلى المرآة؟ لا تندهشي، إن وقع الشيب على رأس الرجل الطموح مثل وقع صخرة على رأس طفل رضيع، والتجاعيد التي تذكرك بشبابك مثل قطعة قماش داس عليها قطار بضاعة بطيء.

وأنا في الثانية عشرة من عمري، لاحقتني الكاميرات لتعلن للأرجنتين مجيء نبي الكرة الجديد دييجو مارادونا، وسمعت المذيع يقول عني: «رغم قصر قامته، إلا أنه كان يعادل بموهبته جبال الإنديز»، لم أنتبه إلى كلمة قصر قامته ولكنني انتبهت لكلمة جبال الإنديز وصار حلمها، وقتها كان لديّ حلمان، أن أخوض المونديال وأن أصبح بطلًا للأرجنتين، ولكن للأسف كلما كبرنا، كبرت أحلامنا، يا لبؤس العجائز.

أبي كان عامل ميناء، رجل طيب ومثالي، وأمي سيدة مثل باقي الأمهات تغطي الأبناء في الشتاء بعناية، وتقبل جبهتي قبل كل مباراة، نحن أسرة بسيطة وفقيرة، هل تعلمين أنني اخترت فريق بوكا جونيور لأنه فريق الفقراء وأبي كان يحبه ويشجعه فلماذا لا أسعده؟ فأنا تربيت فقيرًا.

خرج من البار متأخرًا متعبًا منهكًا ساندًا جسده المليء على فتاة

fb : @3abeth

تنهج من ثقله وهي سعيدة، وتغني معه «أنا دييجو مارادونا.. انا دييجو مارادونا..» ويقف فوق أكبر نافورة وسط أكبر الميادين ويغني بصوت عال: «أنا دييجو مارادونا.. أنا الطفل المدلل.. أنا بطل الأرجنتين.. أرجنتينا.. أرجنتينا»، ثم جلس بجوار حائط منهك من طول عمره، وظل يبكي وحده ليلًا.. واضعًا رأسه بين يديه وهو يقول بصوت مبحوح: أنا العجوز الحزين.. أنا دييجو مارادونا العجوز الحزين.

fb : @3abeth

لوركا كان معي

جاءني بالأمس الكاتب الإسباني فيديريكو جارثيا لوركا وأنا جالس بمفردي على المقهى أدخن الشيشة كعادتي.. لا أبحث عن شيء.. أنظر إلى المارة الذين أنهكهم النهار بقسوة.. جلس بجواري وطلب مشروبا.. عرفته من أول وهلة.. فقصائده تسيطر عليّ منذ فترة.. وكلماته أعلقها على جدار غرفتي وبجوارها صورته قبل الإعدام رافعا يده يلقي قصيدة (ما الإنسان دون حرية يا ماريانا؟ قولي لي كيف أستطيع أن أحبك إذا لم أكن حرا؟ كيف أهبك قلبي إذا لم يكن ملكي؟).. وأعلم أنه لم يعثر على جثته إلى الآن..

ووجدته يقول لي مباشرة: خصصت الحكومة الإسبانية مبلغا لمن يعثر على جثتي.. يحفرون تحت الأرض منذ عام ١٩٣٦ وأنا أمامك الآن.. أنا لم أمت والرصاص الذي أطلقوه عليّ.. مرّ من جسدي إلى

fb : @3abeth

الجدار الخلفي صانعا لوحة من دمائي وسرعان ما اختبأت أنا داخل هذه اللوحة إلى أن ذهبوا.. وخرجت أتجول في مدينة غرناطة ولم يلحظني أحد ثم إلى العالم.. وسمعت أنك تبحث عني..

أنا: نعم أبحث عنك..

لوركا: لماذا؟

أنا: أريد أن أعرف كيف استطعت أن تقول الأبيات بينما كل هذه البنادق مصوبة إليك؟ أم أنها حكاية من خيال أحد الأدباء؟

لوركا: نعم.. قلتها.

أنا: (مستغربا) كيف؟

لوركا: في هذه الحالة تكون متسامحا مع الكون لأنك لا تريد شيئا منه وهذه هي أنسب الأوقات لكتابة وقراءة قصيدة رومانسية.

وبدأ يسترسل عن نفسه، وكأنه جاء إليّ يتحدث ويفضفض ثم يمشي لا لأنني أبحث عنه كما ادّعى!

لوركا: أنا يا صديقي كنت أكتب الشعر كما أعزف البيانو كما أرسم بحثا عن لحظة مناسبة للتسامح.. وفي بدايات الحرب الأهلية بإسبانيا قرر إعدامي جنرال الانقلاب فرانكو لأنني جمهوري.. وكان عمري ٣٨ عاما.. وكانت لديّ قوة أن أتقدمهم وأخبرهم بالخطر في وجوههم.. وعندما وقفت أمام الموت لم أجد شيئا مناسبا أختم به حياتي سوى الكلمات.. الكلمات التي تقتلهم جميعا.. ولكني فضلت أن أخبرهم بقصيدة رومانسية.. فأنا لم أشهر في وجههم قصيدة لتقتل أحدهم يوما.. فكرت مرة في هذا ولا أكذب عليك حين أقول إن

fb : @3abeth

هذه الفكرة استهوتني ولكن بعد لحظات ذكرت نفسي بأني نبي يكتب الشعر.. جئت إلى غرناطة مسقط رأسي بعد رحلات كثيرة لأستقر وأدافع عنها بالكلمات ولكن وشاية ما ربما جاءت من صديق لا يحبّني أخبرهم أنني حضرت إلى غرناطة كي أساعد الانتفاضة ضد الجنرال فرانكو.. بحثوا في منزلي على أي شيء يدينني، لم يجدوا، لكنهم قرّروا إعدامي خوفا على انقلابهم مع أني شخص مسالم جدا رغم تمرّدي ولا أريد من العالم غير الحياة والسعادة..

تعلم يا صديقي أنني عندما كنت صغيرا تعلمت نطق الكلمات متأخرا وتأخرت أيضا في المشي بسبب مرض أصابني بعد الولادة.. وكنت أصنع عالمي كله من العرائس وأتكلم معهم وأقول لهم ما أردت قوله للعالم في الخارج.. إلى أن جاءتني الفرصة لأن أخبر العالم بعيوبه بعد اكتمال كل نضجي العقلي والتخيلي.. فالطفل الذي توحد مع دمية خشبية يحركها لن يصبح دمية لنظام أو لأفكار غيره عندما يكبر.. لأنه عرف مبكرا كيف تحرك العرائس..

أنا لا أحب الدراسات داخل المدرجات.. في البداية دخلت جامعة غرناطة ولم أستمر بها حتى تم نقلي لجامعة مدريد وأيضا لم أستمر بها.. أنا أكره المدرجات واللغة المنمقة وارتداء البدلات الصيفية والشتوية.. أحب الحياة والمقاهي والأصدقاء ونشوة الفنون.. العقبات التي واجهتني في الصغر ومنعتني من معايشة حياتي كطفل هي نفسها التي دفعتني لأن أتحرك كثيرا.. أريد أن أم العالم كله في جيبي ونتحرك سويا في الصحراء ونغني ونرقص فقط..

fb : @3abeth

صمت فترة طويلة ولم ينظر إليّ.. موجها نظره أمامه شاردا..

ـ أنا أيضا لم أكن أفضّل نشر قصائدي وكنت أفضّل أن أقولها بطريقتي الخاصة فالشعر يحتاج دائما إلى ناقل.. إلى كائن حي.. ولهذا تأخرت كثيرا في نشر دواويني.. ثم وقف ينشد:

(وعرفت أنني قتلت

وبحثوا عن جثتي في المقاهي والمدافن والكنائس

فتحوا البراميل والخزائن

سرقوا ثلاث جثث

ونزعوا أسنانها الذهبية

ولكنهم لم يجدوني قط)

وغناها بصوت عالٍ، وبدأ رجل المقهى الوحيد يحرّك رأسه، ويصفّق معه، وفرح لوركا بالحالة التي صنعها بالمقهى رغم أنها لا تحتوي إلا على فرد واحد يجلس معنا.. وقبل أن يخرج قال:

سلام يا صديقي سأمر عليك في الغد وسأخبرك بشخصيات قبل إعدامهم كانوا في غاية التسامح.. صدّقهم يا صديقي.. فأنا أصدقهم جميعا.. إلى اللقاء.

fb : @3abeth

(٢)

الإيميل الذي أرسله لي لوركا..

يا سلمى.. لم يحضر إليّ لوركا كما وعدني وانتظرته بمجيء ولم يأت.. ولكن وجدته يرسل لي رسالة على الإيميل الخاص بي، وإليك نص الرسالة:

عزيزي:

لن أستطيع الحضور إليك كما وعدتك لأنهم بالفعل يبحثون عن جثتي بشكل أكثر جدية وأنا الآن هارب بجثتي بعيدا عنهم.. ولكن سأخبرك بما وعدتك به عن حالة الشخص المصوبة نحوه البنادق وعلى وشك الموت فيما يفكر.. أعرف أن مثل هذه الحكايات أكثر إثارة وأقرب إلى حكايات النميمة التي تشغل الجميع.. ولكني سأخبرك عن العلاقة بين الجلاد ومجلوده.. فدون فهمك لهذه العلاقة

fb : @3abeth

وكيف تكون قويا أمام جلادك لن تقترب من مشاعر أولئك المصوب نحوهم الرصاص..

يشعر الجلاد بقسوة وغضب عندما يضرب ولا يسمع توسلات من المجلود.. يظل يضرب حتى يسمع صرخة ترضيه وترضي قلبه وتجعل مسام جسده تمتلئ بالنشوة.. فإذا لم يسمع الصرخة مدوية من المجلود يصرخ هو ويظل يصرخ حتى تتقطع أحباله الصوتية متوسلا مجلوده أن يصرخ فيخر ساجدا له ويموت.. فإذا أردت أن تقتل جلادك، لا تصرخ وهو يجلدك.. ساعات وسينهار ويموت.. فدون صرختك وتوسلاتك لن يشعر بأنه جلاد..

فسقراط مثلا عندما صدر الحكم بإعدامه، كان يجلس في سجن فردي وأخبره كريتون، أحد تلامذته، في أحد المرات القليلة التي يخرج فيها سقراط إلى حديقة السجن أنه أعد الخطة المحكمة لهروبه من السجن وقال: إن مثلك لا يجب أن يكون هنا.. أنت يجب أن تكون حرا وطليقا في الخارج حتى تستكمل ما بدأته في توعية الناس، ولكن المفاجأة كانت في رد سقراط فقال له: لا يا كريتون.. لن أهرب من الموت الذي يلاحقني.. فإذا هربت سيقولون هرب من أفكاره التي نادى بها لأنه لم يكن على قدرها.. الحياة ليست شيئا أمام أفكارك.. فبموتي ستكون أفكاري خالدة. فسقراط يا صديقي اختار لنفسه الموت بجرعة سم ولا يهرب.. وقتل قاتله بأنه لم ينفذ حكمه عليه واختار الموت حتى لا يقولون هرب من أفكاره وتراجع عنها.. وأكمل أفلاطون مسيرته في نشر أفكار أستاذه سقراط الذي

fb : @3abeth

كان يمشي في الأسواق يتحدث إلى العامة ويجعلهم يشكّون في كل ما هو ثابت وساكن في وجدانهم حتى يفكروا ويعرفوا حقيقة الحق والعدل والخير والجمال.

أما جيفارا فاستطاع أن يجعل قاتله حائرا.. فعندما سأله ضابط السي آي إيه: إلى متى ستقاتل بعدما كنت تجوب المكسيك وفنزويلا وكوبا والجزائر؟ إلى متى؟

لم يرتبك جيفارا وأجابه بيقين الثائر: إلى أن يتمكن أطفال العالم كلهم من أن يشربوا كوبا من الحليب كل صباح.

وهذا كان أهم مبدأ في رحلته الثورية.. لم يطلب العفو أو الصفح عنه ولم يخطب فيهم بقيمة العدالة والحق حتى يرق قلبهم ويتركوه.. ولكنه في هذه اللحظة كان أقرب إلى قلب شاعر أو نبي.. طالب بالعدالة لغيره.. فإن صرخ وأظهر خوفا فسيبتسم القاتل ويشعر بالانتصار عليه، لأنه استطاع أن يكسر هذا البطل.. فبصرخة البطل وهو يجلد من جلاده يشعر الجلاد بلذة ونشوة اللقاء الجنسي الأول مع فتاة..

ولكن ما حدث مع الأديب الروسي دستوفسكي كان غريبا.. كان أمام الموت ولكنه نجا منه.. كان من ضمن ستة أفراد حكم عليهم بالإعدام.. تم تقسيمهم إلى مجموعتين وكان ترتيب دستوفسكي في المجموعة الثانية آخر شخص.. بعد إعدام الخمسة الذين سبقوه جاءه

fb : @3abeth

العفو الملكي الذي أنقذ حياته من الموت.. فأرسل خطابا إلى أخيه يخبره فيه عن هذه اللحظة الغريبة التي مر بها ولكن دستوفسكي لم يضعف في أثناء مواجهة الرصاص نحوه وقال: (ولكن على الرغم من كل ما حدث لي.. فلم أفقد الشجاعة ولا الأمل.. الحياة في كل مكان هي الحياة، الحياة موجودة في داخلنا وليس في العالم الخارجي).

هكذا يكون قلب الموجه نحوهم الرصاص.. لا يحملون سوى حكمة الأنبياء وخيال الشعراء.. لا يصرخون.. ولا يطلبون العفو.. من يطلب العفو هو الضعيف.. طالما اخترت الحياة كما تريد وآمنت بأفكارك تحمل نتيجة ما تؤمن به.. لذلك الشجعان هم من يقتلون جلادهم بعدم صرختهم..

fb : @3abeth

يوجع الوطن كأنه نجيب سرور

(١)

عزيزتي سلمى، لا أعرف لماذا استيقظت مبكرًا من النوم لكي أحكي لك عن انكسار يؤلم قلبي، وقلق يجلب الكوابيس بقوة المغناطيس إلى عقلي، وكأنني نجيب سرور الذي تعوّد الألم، وكأنه عادة شرب الشاي للإنجليز الساعة الخامسة، يلتزم بالوجع التزام الرجل بمسؤولية ما تجاه حبيبته، الرجل الذي يشبه ملامح الوطن في نكسته وهزائمه المتكررة.

وأنا صغير، ظلّت صورته دائما حزينة كلما ذكر اسمه، وكلما شعرت بهزيمة ما أو وجع تجاه الوطن، تذكرته بشدة، لم تفارقني صورته وهو يفترش الأرض بوجعه على أسفلت شارع طلعت حرب بين أضواء السيارات دون اعتناء بالموت، واضعًا قلمًا فوق الأخرى

fb : @3abeth

وهو نائم على الأرض لا يعبأ بنظرات المارة التي تشير له بالجنون، مبتسما ابتسامة المنتصر، كان يشعر أن عالمه الذي شكله خياله ملك له ولا يجرؤ آخر على اقتحامه فأودعوه مستشفى الأمراض العقلية قسرًا كي يكمل بناء عالمه بمفرده، فأصبح المريض الذي لا يريد أن يشفى كي لا يتلمس بيده واقعًا رفضه وقهره وطرده دون رجعةً، أصبح الرجل الذي تتذكره كلما انكسر الوطن ليوقظك مرة أخرى كي لا تهرب، الرجل الذي مارس حب الوطن بصدق بعيدًا عن أي أكليشيه يردده الطامعون في مصلحة ما من نظام، فأصبحت جداريته في سب الوطن إخلاصا له، فكلما مررت من مكان ما كان يسير فيه، أرى رباعية شعرية منحوتة على جدار، كان نتيجة حتمية لهزائم وطن، لم يقو على سماع صلاح جاهين يردد كلماته التي أعطاها لسعاد حسني وهي تبتهج «وردي وردي.. الجو ربيع»، فذهب إليه ووقف تحت منزله ينادي عليه:

- يا صلاح.. يا صلاح

يسمع جاهين صوته فيرتبك، لأنه يعرف نجيب سرور جيدًا، فيخرج له، نظر له ولم يتحدث، فأخذ سرور يصرخ في جاهين:

«بمبي يا صلاح؟ بمبي؟ الدنيا بمبي؟ من إمتى والدنيا بمبي يا صلاح؟ أنا بموت يا صلاح وإنت بتقول لي بمبي؟ أنا جسمي شقق من القهرة والوجع يا صلاح وإنت بتقولي بمبي؟».

fb : @3abeth

لا يرد صلاح وظل يبكي على وجع صديقه، جاهين كان قلبه مكسورا مثله تمامًا، ولكنه كان يترك مساحة للسعادة حتى يستطيع العيش، كان يحارب الانكسار بالبهجة، معادلة يختارها صاحبها، نجيب سرور لم يقو على تحمل البهجة.

(أ)

(نكسة ٦٧ ـ تعينه مدرسا في معهد فنون مسرحية ثم فصله ـ ثم نفيه إلى بودابيست ـ سنوات من البطالة ـ زوجته المصرية التي كانت تتجسّس عليه بأمر من أمن الدولة ـ دخوله مستشفى الأمراض العقلية ـ عودته للتدريس في معهد فنون مسرحية مرة أخرى، ولكنه لم يستمر لمدة عام، وتم فصله مرة أخرى بسبب اتهام الناقد رشاد رشدي له بالشيوعية ـ طلبه من محرري الجرائد أن يعمل حتى لا يموت بالبطيء وكانت هذه أكبر إهانة شهدها طلبه للعمل بعد أن أصبح كاتبًا كبيرًا ـ سفر زوجته الروسية بابنه شهدي حتى يكمل دراسته في روسيا ـ ثم موته في بيت أخيه ثروت في دمنهور) ارتباكات كثيرة تحملها نجيب سرور وحده، هذه بعض من هزائمه التي جعلته نزيلًا في مستشفى العباسية للأمراض العقلية، هل تستطيعين تخيل كل هذه الأحداث تقع لشخص واحد دون أن ينتحر؟

fb : @3abeth

(٣)

يرسل إلى شهدي ابنه رسالة كي لا يكره الوطن، يقول فيها: «أبويا مات مصري ثاير.. بس عاش فيًّا.. أبويا عايش.. أبويا تاره لسّه مامتش.. أبويا كافح وكان عنده الكفاح غيَّة.. واللي أبوه زي أبويا يبقى ما اتيتمش.. أنا أبويا جدع.. قصدي أبويا كان وعاش غريب في الوطن.. يا قسوة الغربة وترابنا من عهد خوفو بيحضن الجدعان.. مبروك عليك التراب يا نازل التربة.. يا ابني أنا جعت واتعريت وشفت الويل.. وشربت أيامي كاس ورا كاس طرشت المر.. يا ابني بحق التراب وبحق النيل.. لو جعت زيي ولو شنقوك ما تلعن مصر.. اكره واكره واكره بس حب النيل.. وحب مصر اللي فيها مبدأ الدنيا.. دي مصر يا شهدي في الجغرافيا ما لها مثيل.. وفي التاريخ عمرها ما كانت التانية».

(٤)

كان يعرف أن موته قريب، وجدوه ممددًا على السرير يردد وردًا بكائيًا «أنا عارف إني هموت موتة ما ماتها حد، وساعتها هيقولوا لا قبله ولا بعدُه، وبطانة بتقول يا عيني مات في عمر الورد، وعصابة بتقول خُلُصْنا منه.. مين بعده».

fb : @3abeth

ولم يتنبه إلى أن موته سيكون عاديًا، سيكون يده، عينه لا تتحرك، ممدد على سرير أخيه، مات خائفًا، وما أقسى الخوف من ذكريات حزينة وأنت تودّع العالم بنصف قلب ونصف ابتسامة، يا سلمى الخوف يوجع الوطن وكأنه نجيب سرور.

fb : @3abeth

بوجه حاد ونصف ابتسامة..
وكأنه هاني درويش

(١)

كلما فقدت صديقًا، فقدت جزءًا من حياتي..

وأنا فقدت الكثير.

(٢)

كان يجمعني بهاني، لاعب كرة أرجنتيني، نتحدث عنه وعن تعدّد معجزاته في الحياة والسقوط والنجاح وحب الحياة والعنف والخطيئة

fb : @3abeth

وانتقاله من ناد كبير إلى ناد صغير وحصوله له على البطولة.. ما هذا الجنون؟ وبعدها نتطرق إلى الحديث عن السينما في أمريكا اللاتينية والأدب والثورات.

كان مارادونا بوجهه العجوز يشبه يقين هاني بالحياة، يدرك أنه لا موت الآن، يستقبل الصباح بوجه حاد وابتسامة مفاجئة وينظر إلى أحد المارة ويقول: «إيه يا مان، البلد مش هتتعدل بقى؟ عايزين نشم هوا نضيف»، ثم يمشي دون أن ينتظر الإجابة.

كان آخر حديث بيننا قبل رحيله بساعات، يخبرني أن هناك شخصًا ما يرفع قضية على مارادونا ويريد أن يحبسه، واتفقنا أن نلتقي لنضع حدًا لهذه المهزلة، بالطبع ستصنع الأساطير حول ماردونا ونصل في نهاية الأمر إلى أن هناك شخصًا مأفونًا يريد أن يحبس مارادونا.

(٣)

كلما زادت مساحة الذكريات، زادت مساحة الوحدة.

(٤)

أنا: كل سنة وأنت طيب يا هاني.

هاني: وأنت طيب يا صديق الممرات الطويلة.

fb : @3abeth

لم أستطع ولو لمرة واحدة أن أسأله: ماذا كنت تقصد بالممرات الطويلة؟

(٥)

كلما سمعت خبر موت أحد الأصدقاء أهرول على «دار ميريت» دون تفكير لأودعه، وأستقبل النتيجة الحتمية للحياة والتي أعرفها جيدًا ولا أصدقها، بها عرفت هاني أول مرة واختلفنا حول ماهية اللغة والأدب المقارن وجدوى الحديث عن جيل الستينيات، وأخبرني أنه يحبّ التنظير، وفي نهاية الجلسة تبادلنا أرقام هواتفنا ولم نتحدث إلا مرات قليلة، ولكن لا أعلم لماذا عندما سمعت خبر موت هاني نزلت إلى الشارع لأجلس على الرصيف وأبكي وحيدًا قبل أن أذهب إلى دار ميريت؟

(٦)

عندما يرحل البعيدون نبكي، نبكي بحرقة، وعندما يرحل القريبون نصمت، ربما نستقبل الأمر بابتسامة تاركة دهشة تقطع عروقك لفترة، وبعدها تنهار كل قواك لتصمت تمامًا.

هكذا يرحل القريبون بابتسامة.

يشاركوننا الدخان والنظر للنهارة وقراءة الجريدة اليومية.

يشاركوننا الليل والسر.

fb : @3abeth

يشاركوننا الحلم، ذلك الحلم الذي لم يكتمل.

لا نلعب الطاولة دونهم، ولا نضحك على إفيهات «الضيف أحمد» في مشهده الوحيد بفيلم عروس النيل دون أن ندمع للضحكة ولتذكرهم.

أولئك القريبون منا، أظنهم يستريحون قليلًا من الضحك.

أظنهم يرسمون بالهواء أسماءهم الحقيقية التي أخفوها عنا بنصف ابتسامة.

قبل الرحيل يدس الراحل يده في جيب بنطاله، وهو ينظر لنا باهتمام مبالغ فيه ويخرج.. لا شيء.

ويبتسم ثم يضحك ويضحك بصوت عالٍ، ويخبرنا بأن رحيله سيكون مفاجئًا الآن، رحيل بنصف ابتسامة أخرى لتكتمل ابتسامته

فلترقد بسلام يا «مان»

fb : @3abeth

قصيدة محمود درويش الارتجالية أمام الجمهور

(١)

قاعة كبيرة تضم الآلاف من الحضور، لا يتكلمون، فهم في انتظاره

يدخل، يظهر محمود درويش بابتسامة طفل وينحني بتحية أبهة زعيم،

يقرر أن يكتب قصيدته الارتجالية الوحيدة أمامهم.

يصفق الجمهور.

fb : @3abeth

(٢)

أتذكر المرة الوحيدة التي قابلته فيها بشارع الحبيب بورقيبة في تونس. كنت صغيرًا، نزلت من الفندق متوجهًا للمسرح، أجلس في مقهىٰ زجاجي جميل أشرب القهوة، ما أجمل قهوة الشتاء وأنت وحيد، والأجمل أن تكون بين يدي حبيبة تربت كتفك وتداعب خصل شعرك كطفل يقرر النوم في الطريق، ولكن لا مانع من أن القهوة بالشتاء وحيدًا في مقهىٰ زجاجي لها مذاق آخر، خصوصًا بعد أن يرمي الشتاء الضباب كأحد أبنائه علىٰ الزجاج ليشعرنا بالدفء، وسط ضباب الزجاج ودخان القهوة وجريدة بالفرنسية ألاحظ محمود درويش يسير بالشارع، فكرت للحظات هل هو بالفعل أم شخص يشبهه؟ ولكني قررت أن ألحقه وأسلم عليه، جريت، هو يمد، وأنا أهرول، حتىٰ لحقته. سألته سؤالًا ساذجًا: هل أنت محمود درويش؟ ابتسم، وعرف أن السؤال من الدهشة ليس من الجهل، وقال: نعم، أنا.

لم أقل له إني أحب كلماتك وكم كانت تلاحقني في كل مناسبة، ثم صارت تمرينًا من تمارين الوحدة اليومية، لم أخبره باسمي ولا بهويتي، كل ما طلبته منه أن يشرب فنجان القهوة معي، ابتسم ورحّب، ودخلنا المقهىٰ، وجدته طفلًا يبتسم ويضحك بصوت عالٍ، لا تمر دقيقة دون ضحكة، كان خفيف الظل، وأخرجت له بعضًا مما أكتب وقرأته بعد أن طلب مني هذا، ثم أخرج قصيدة وقرر أن يقرأها لي، ثم استأذن وودعني علىٰ أمل أن نلتقي بمصر.

fb : @3abeth

(٣)

عرفت درويش جيدًا بصوته الجهوري الذي يشبه وحدتي، هادئ جدًا لأنك دائمًا تسمعه وحده دون همهمات الحضور، وصاخب جدًا لأنك تشعر لوهلة أن هناك أعدادًا جمة تحضره، صوت محمود درويش داخل القصيدة مثل طفل جاء إلى العالم بلا زفة، مثل طفل سمع الرصاص حول رأسه، كصوت ارتطام كرة طفل في حائط جارهم، مثل طفل رأى البيوت تنهار حوله بقذيفة طائشة، كفنجان قهوة يفور.

صوت درويش يعيش كظلك.. تحزن.. تفرح.. تحب.. تجوع.. تئن.. تجن.. تهرول.. تصعد.. تهبط.. تلمئ.. تخون.. تتوب.. وتصل بكلماته للنشوة وأنت تقول: يا رب.

(٤)

لو أدرك درويش أن جداريته كونية ما كان ليخط حرفًا. أحبّ الله فأعطاه نور الكلمات. كان يملك رؤية الريفي وتقديسه للموت. وفلسفة ساكني البحر وهم يملكون المدى واللانهاية. وشجاعة المحارب الذي ابتسم عندما رأى عدوه يهرول ناحيته. تشعر أنه دائمًا في انتظار امرأته التي لن تأتي لكي يكتب القصيدة.

fb : @3abeth

(٥)

تذكرت أن محمود درويش لم يتكلم، لم يقل قصيدة، ثم نزل إلى الحضور، وبدأ في توزيع أوراقه علينا، ويقول: «أنا قصيدة صغيرة لم أكتبها بعد. أنا قصيدة صغيرة لم أكتبها بعد».

وخرج وسط تصفيق مخلوط بنشيج الحاضرين.

(٦)

وعرفت أن للموتى ذاكرة، ذاكرة مليئة بالحكايات عنا.. وأنهم يبتسمون.

fb : @3abeth

أحمد زكي.. غريب أحب الغربة

(١)

طفل يعي الغربة جيدًا، لم يمل منها يومًا، تعود الألم كصديق رحلة من الريف للمدينة، فصار حلمًا لم يكتمل.

(٢)

كان يتحرك في بقعة ضوء لامست خشبة المسرح باستحياء ويراقب الأبطال بعناية من الكالوس، ويصفق بشدة أحيانًا ويبكي معهم أحيانًا أخرى، ولم يعرف يومًا أنه يتابعهم من فوق خشبة المسرح أمام الجمهور الذي يشاهده وهو يتابعهم.

fb : @3abeth

(٣)

«إن ماقدرتش تضحك ما تدمعش.. ولا تبكيش»، يشدو بها وسط شارع لا يعرف اسمه، وسط أشخاص لا يعرفهم، ولكنه يغني معهم بحميمية لم يشهدها من قبل، ومصادفة يمر رجل يحمل كاميرا يلتقط لقطة ليست سينمائية وتخلد ابتسامة رجل كان يقف خلفه سعيدًا بلمعة الكاميرا وآخر يكمل الغناء معه، لأنه اقترب من حالة النشوة والعطش للنجومية التي ستزول فور إطفاء نور الكاميرا.

(٤)

تجده يسير بجوارك مبتسمًا، وفجأة يخرج هاتفه الجوال ويصمت، ويبدأ في الحديث: «مش ذنبي إني فقير.. مش ذنبي إن أنا مش معايا أعيش.. مش ذنبي إني عايز أبقى فنان.. من حقي أعيش»، وكأنه يرسل رسالة لك بأنك لا بدّ أن تسير في نفس الشارع، ولتكن النهاية كما تريد أن تكون، ولكنها الحياة.

(٥)

يلعب الملاكمة والكاراتيه رغم اعوجاج بسيط في قدمه، لأنه يشبه الكفيف في فيلم «الكيت الكات» الذي يصر على أنه شخص عادي

fb : @3abeth

يدخن ويغني ويركب الدراجة البخارية ويشاهد السينما، إعاقات تلائم أصحابها لتخلدهم، وتجعلهم يشاهدون العالم من خلالها، ودونها سيكونون موظفين يداعبون زوجاتهم ليلة الخميس فقط لأنها ليلة الجماع، ولكن مثل هؤلاء لا يعلمون أن الجماع لا يحتاج ليوم بعينه ولكنه ينقل مشاعر في أي وقت ويفرح لتقبيل حبيبته في شارع عام خلسة، وكأنه يلتقط من العالم آخر نفس، وأنا منهم، يعتقد الآخرون أني مجنون ولا يعلمون كم هي صفة تلائم من هم مثلي ومثلهم.

(٦)

اصنع يومك وحدك فلن يصنعه لك غيرك، ولن يقدم لك شخص ما عابر عشاء مطهوًا على مزاجك الشخصي، ليلك وحدك فحافظ عليه ولا تخرجه عن قداسته وتزعجه بخوفك، أرسل خطابًا لليل في الشتاء وأخبره أنك قوي وتريده كي تحقق مزاجًا ملائمًا لقطرة المطر التي تنزل الآن على مهل خلف زجاج غرفتي.

(٧)

الموت يقف على باب غرفة العمليات في انتظار انتهائه من آخر ابتسامة وآخر نفس مطمئن بأنه كان يحلم، ويموت في هدوء.

fb : @3abeth

حلم المهاجر الحزين وكأنه
يوسف شاهين

كم أكره الأبطال الخارقين وكم ألعنهم، لأنهم لا يخطؤون مثلي، ولا يفقدون عاشقاتهم في الطرقات، ولا يجمعون ذكرياتهم تحت الوسادات. كم أكره سوبر مان وأكره بات مان، لأنهما لا ينامان يحلمان بأشباح تطاردهما لدفع أجرة السفر. أنا طيب، وأبطال يوسف شاهين طيبون، يلعنون القهر والظلم، يبحثون عن مخرج لأزماتهم، أحدهم يمد يده في جيبه لا يجد ثمن تذكرة الترام ليلحق بفتاته أمام السينما، يرقص تحت المطر بطريقة رومانسية كلاسيكية على أنغام موسيقى الفالس، يبكي بحرقة لخسارة صديق، ينظر ويحدق بشدة في كل شيء وكأنه لن يراه مرة أخرى، يكره أمناء الشرطة وهم يأكلون بشراهة، شاهين لا يقدم طعامًا لبطله في كل الأفلام، وكأنه كان ضد

fb : @3abeth

الطعام ويراه شهوة مقيتة تلصق باللصوص، أبطال شاهين طيبون، يحبون الحياة ويعيشون كما العاديين ولكنهم يدركون أنهم مختلفون.

ـ شاهين، طفل سكندري يسير بجوار البحر ويراقب المدى، ويفكر في بيت رملي يبنيه ويسكنه وحده، ويحلم بأن يكون كما يحب، ويكبر فجأة ليسأل نفسه، هل الأحلام قادرة على الانتظار؟ وقابلة لأن تتعاون معي لأسافر بحثًا عن ذاتي؟

يصعد شاهين على الباخرة العظيمة غليظة الصوت والقلب ليودع أهله وبيته الصغير ليبحث عن مجد، يبحث عن إجابات لأسئلة قد تبدو عبثية للغير ولكنها كانت تخصه وحده، عينه تدمع عندما يقول له الأب: «هتلاقي زحمة تحت بتودع بعضها، بس خد بالك مني هتلاقيني بشاور لك بالجامد قوي».

ـ شاهين: أنا كنت عارف إن ربنا بيحبني وكان بيطبطب عليا طول الوقت، هو أنا عايز إيه من الحياة غير كده؟ أبقى مفتري.

ـ وعندما تضيق به الغربة يجلس على رصيف الانتظار ويغني لسيد درويش (أعمل إيه وإحنا ف غربة والأغراب دول زي اليتامى).

ـ كلما انهزم، زادت قوته في التصدي لتحقيق حلمه، الطريق إلى الأحلام أصعب وأمتع من لحظة الوصول، أبطاله معجونون بطاقة إيجابية طوال الوقت، تتفتت أحلامهم أمامهم بسبب الواقع، وسرعان ما يقفون ويلملمونها مرة أخرى.

ـ هو المحامي العجوز المهزوم في مشهد «وعايزني أكسبها»، والذي يقف أمام متهم مهزوم أيضًا ويتحدثان بيقين وبطلاقة

fb : @3abeth

عن الخسارة وكأنه يتحدث عن مكسب مضمون، ليختم المشهد بموسيقى كرنفالية في سيرك حيواني، منطق لا يحمله سوى شخصية تدرك حجم الحياة والألم، هو ألم الوجودية التي نادى به ألبير كامو وألفريد دموسيه.

ـ لا أعرف السبب في أني كلما سمعت مارسيل خليفة وهو يشدو بقصيدة درويش «أنا يوسف يا أبي»، أتذكر بطل «إسكندرية ليه»، خصوصًا في مقطع «هل جنيت على أحد عندما قلت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين؟»، هذا هو البطل الوحيد الذي يحارب طواحين الهواء ولكنه لم يفقد صوابه، المهاجر في رحلة فرضت عليه، ليعيش في بئر تحميه من نظرات أخوته الغليظة، وهو يهمس «اتركوني أستأنس بوحدتي» ويمد يده للسماء ليخطف شمعة مصنوعة من عظم الأحلام المنسية، ويختار مصيرًا حدده مسبقًا رغم محاولات إجهاضه، ويعرف أنه سينجح، وسيعرف أخوته أن الأحلام لا تموت، تحمي صاحبها من الغرق ومن التوهة في الصحراء.

ـ ولا أعرف السبب أيضًا أني كلما شاهدت شاهين العجوز أتخيله شخصية يكتبها نجيب محفوظ في أحلام فترة النقاهة، ويجعلها زبونًا في بنسيون ميرامار.

ـ يكتب على قبره قبل أن يموت «لا يهمني اسمك، لا يهمني لونك، يهمني الإنسان، حتى لو ملوش عنوان» ليكون حلم المهاجر اللامع الذي تحقق.

fb : @3abeth

أمي..

صباح الخير يا أمي

كيف حالك.. أتمني أن تكوني بخير.. أنا بخير.. أحيانا.. بعد فراقك يا أمي صارت كل الأمور أحيانا.. لم يعد هناك شعور متكامل أحمله سوي الحزن والفقد.. الأيام تسير ببطئ شديد.. الأشياء التي لمستها يدك يوما صارت تحدثني بذكرياتها معك.. الصور القديمة التي كانت تجمعنا صارت منحوتة في جسدي.. في كل مرة أغير ملابسي أري وشما من ابتسامتك..ابتسامتك التي كانت تجعل للصورة طعم وحياة صارت بكاءا يوميا علي فراقك.. عينك التي كانت تستقبل المستقبل والطالع بيقين العارف ولا يتحدث..وبقلق قلب الأم خوفا علي خدش ما قد يصيب ابنها في قدمه اليمني وهو يلعب الكرة.. صرت طفلا تائها يا أمي.. لم أفكر يوما كيف يكون الطفل بلا أم.. وجدته مؤلم جدا يا أمي..

في الليلة قبل ذهابك للمستشفي بيوم كنت ترفضين الذهاب للمستشفي وتصرخين.. سأموت هناك.. لا تحملوني إلي هناك.. كنتي تعرفين أن الموت في استقبالك هناك.. كنت تسبقيننا بزمن في

fb : @3abeth

فهم العالم.. وفي الليلة قبل الغيبوبة تكتبين ورقة بخط مهزوز عن معاملة الممرضين لك في الغرفة ولكن في نهايتها تختمينها بخط مستقر وواثق (أنا مش هخرج من هنا) فكنا نضحك ونقول هانت يومين وهنمشي من هنا ونروح للبيت وللحر والفرهدة.. وأسالك: هتيجي معايا في شقتي والهوا الجميل اللي عندي ولا هتروحي مع بابا؟ تشيرين بيدك الي بابا.. قرأت في عينك تاريخك معه في اشارتك له.. هل سمعتيه في يوم الغيبوبة الأول وهو يهمس في اذنك وينادي عليك ويتمتم بكلمات لا اسمعها؟.. كان ينادي عليكي ويقول لك: قومي يا أم باسم.. قومي.. ويبكي.. انتي سمعاني صح؟.. ولم ينتبه أن بالغرفة ممرضات قلوبهن صلبة.. وأطباء فقدوا كل ما يعرفونه عن الانسانية..لا يتأثرون.. الأطباء في مصر مثل تجار الحروب.. يتحدثون كآلة حسابية ومكينة ايداع للفلوس..

تذكرين يا أمي عندما دخلت أنا المطبخ لأول مرة (لما كنا بنبيض الشقة) وكنت أريد أن اساعدك فقمت بطبخ مكرونة وكانت النتيجة غير مرضية فلم توبخيني واكلتي منها وقلت: الله طعمها حلو والله.. حتي لا أحرج أمام أخوتي.. من يومها وأنا أحب الطبخ.. الآن يا أمي الوجبات التي كنت أجيد طبخها.. بعد موتك صرت أخطئ في مقاديرها وتفسد..

كانوا يقولون أني أشبهك.. كنت أشبه أمي.. وكنت أقولها بفخر.. أنا أشبه أمي.. الآن لا ملامح لي.. لأني صرت أشبه ملامح موت أمي.. ضاعت ملامحي يا أمي وصرت أشبه شيئا ما لا أعرفه..

fb : @3abeth

كنت يا امي تحميني من الوحدة كلما اشتدت علي ألمها وقسوتها وذلك عندما أخذت القرار بالاستقلال عن منزل الأسرة.. كان اتصالك يأتي في الوقت المناسب

ـ ها هتيجي؟

ـ مشغول يا أمي والله عندي حاجات لازم تخلص

ـ طب أنا طبخالك النهاردة كذا

ـ جاي يا امي

لم تاخذ وقتا في اقناعي..لأنها تدرك بأني بحاجة إلي طبطتها علي كتفي ودعوة جميلة لا إلي طبق مطبوخ.. الراحة والأمان..

في مجتمعنا تربينا علي أن نخجل من اسم الأم أو الأخت وينادون باسم الابن أو الزوج.. أنا كنت فخور باسمك وعندما يسالني أحد عن اسم أمي كنت اقول له زينب محمد أنور.. أمي التي افخر بها.. وعندما كنت ألعب معك كنت أقول لك يا زوزو وبنات أخي بلال(ريم ورودي) ينادون عليك زيزا.. الجميع كان فخور باسمك.. نسيت أن اخبرك أن اسماء أختي أنجبت ولدا وسمته حمزة بعد أن كنا مستقرين علي اسم سليم وانتي الوحيدة التي كانت تريد اسم حمزة.. أسماء وأسامة قررا أن يكون اسم الولد حمزة من أجلك انت.. ومحمد أخي الصغير دلوعة العيلة نجح ويفكر في فتح مشروع ملابس جديد.. الكل هنا كان يحبك فلماذا ترحيلين؟..

fb : @3abeth

منذ كنت طفلا وأنا أشجع فريق الزمالك وباقي العائلة الأهلي.. فكنت وحيد وسطهم أشجع.. يا لبؤسي لو خسر الزمالك الكل أصبح ضدي إلا هي تقف بجواري مدافعة عني وعن الزمالك وهي لا تحب الكرة ولا تفهم فيها شئ ولكن كل ما تفهمه هو أنا.. لا يمكن أن أكون وحيدا وهي موجودة. كنت في ظهري كلما ظهر اختلافي عن السائد... الآن صرت وحيدا للأبد..

اليوم أشعر بالخوف مع أني لم أشعر بالخوف طوال حياتي.. الخوف يلاحقني كظلي.. كما الظلام الذي كنت أعيش فيه ولم أنزعج من قلة الاضاءة لأنها كانت أكثر راحة لي.. اليوم أخشي الظلام وعندما أدخل إلي شقتي أنير كل الأنوار

الليل لم يعد يروق لي كما كان.. أخشي منه أيضا.. أصبح مؤلما أكثر يا أمي.. الليل الذي كنت أنتظره اليوم أخشي من قدومه.

الوحدة تكاد تفتك بي.. لم أعد قادرا علي الجلوس وحدي كثيرا ولم اعد أيضا أقدر علي الجلوس وسط الناس كثيرا..

أصدقائي يا أمي يجلسون معي لا يتحدثون.. يفتحون هواتفهم الجوالة ويجلسون معها.. يخشون الكلام.. أجلس وسطهم وحيدا.. والبعض يخشي أن يجلس معي وحده حتي لا يصاب بحزن ما عابر من كلماتي عن فراقك.. أصحابي وحيدون وطيبون يا أمي.. تعيش وسطهم كما تعيش وحدك.. قسوة الوحدة تشربها كل يوم في فنجان القهوة.. لا أحد يعبأ بأحد.. لكنهم يشعرون بحزني ولا يقون علي إجراء يخرجني من هذا الحزن.. إنهم طيبون.. لست غاضبا منهم.. لكني غاضب من الموت..

fb : @3abeth

قديما كنت استمع إلي جملة (ربنا يجعل يومي قبل يومك) وكإنها مدح لمن يخصك.. كبرت وعرفت إنها جملة بهخا قدر كبير من الأنانية يا أمي... إذا مت قبلك فأنا أعرف مدي الحزن الذي يصيبك وقلبك لن يتحمل فراقي وستعيين بعدي.. فكنت اقول وانا صغير ماذا لو متنا جميعا في ليلة واحدة دون ان يشعر احدنا بالحزن والفراق؟ ولا اعلم لماذا خلق الفقد والالم.. لا مبرر يقنعني لسبب وجودهما في حياتنا.. كان الأفضل أن يقطع جزء من الجسد مع من تحب ولا يجعل القلب يشيخ ويصيبه الوهن بالفراق..

تعرفين يا أمي اليوم كادت سيارة تدهسني وأنا أعبر الطريق وأول شئ خطر ببالي هو قلقك علي.. وبعدها ارتجف قلبي لأني تذكرت أنك مت وسرت بالشارع أبكي أبحث عنك في عقلي وأقول لك لقد اشتقت إليك يا أمي.. أنا من غيرك طفل تائه لا يقوي علي الحياة.. ولعنت الموت ألف مرة وأخبرت السائرين بالطريق أن الموت لعين.. يحدقون بي.. منهم من يضحك ومنهم من يقول لا حول ولا قوة الا بالله كأني جننت.. لم يفهموا ما أريد أن أقول.. كل ما أريده أن أخبر المارة أني فقدت أمي واشتاق اليها وأنا ضعيف.. أريدها الآن بجواري تربت علي كتفي لأني حزين.. أنا حقا حزين..

fb : @3abeth

شكر خاص لكلا من:

وليد كامل،

هاني شمس،

محمد عبد الفتاح،

محمد أبو زيد،

سامر أبوهواش،

الدكتور علي بن تميم.

fb : @3abeth

المحتويات

- الوحدة مزاج الأنبياء ٧
- سأحكي لك حكاية يا سلمى ١١
- يا سلمى.. عامان أكتب لك ولا يصلني الرد.. ..... ١٥
- يا سلمى.. أنا مكسور مثلهم ١٩
- وداد مكسورة ووحيدة مثلهم يا سلمى ٢٣
- لا تنتظري مثلهم المهدي المنتظر ٢٩
- الأبواب حيلة للاطمئنان ٣٣
- نهايات لا تليق بك ٣٧
- عن مدينة تفضّل أكل الحكايات عن الحلوى ٣٩
- عم سراج.. رجل الحكايات ٤٣
- صورة الطفولة ٤٧
- الطبخ والغرباء على مائدة واحدة ٤٩
- يا سلمى.. سأربّي أسدًا صغيرًا يعيش معي ٥٣
- هناك المرسومون على الجدار يرقصون يا سلمى ٥٧
- تعليقًا على ما حدث ٦١
- الرجل الذي يأكل أوراق القصائد حتى تعود له ذاكرته..... ٦٥

fb : @3abeth

ـ الشجرة الغريبة التي يعيش فيها البشر ٦٩
ـ الخوف شبح يحتاج مقاتلا ٧٣
ـ عن صفحته الإلكترونية بعد أن رحل بعام ٧٧
ـ لا مكان لي ٨١
ـ العجوز الغريب ٨٥
ـ كـ حكاية قديمة لك ٨٩
ـ خطاب وداع روبن وليامز قبل الانتحار بدقائق ٩٣
ـ نهايات متكررة ٩٧
ـ رسالة «فرجينيا وولف» لي رغم انتحارها ٩٩
ـ اليوم أترك ساعة يدي على باب الدنيا ١٠٣
ـ أنا ملاك الموت الوحيد ١٠٧
ـ ليلة أن بكى الشاعر ١١٣
ـ قهوة اليساري الأخير ١١٧
ـ اليوم عرفت لماذا أكتب ١٢١
ـ الذين أحبهم يا سلمى ١٢٥
ـ الليلة الأخيرة في رأس الراوي ١٢٧
ـ سر خيري شلبي ١٣٠
ـ شارب وتجاعيد حزينة في الشقة الجديدة.. وكأنه إبراهيم أصلان ١٣٥

fb : @3abeth

ـ أمل دنقل والقطار الأخير ١٣٩
ـ مارادونا.. يد الله الذهبية ١٤٣
ـ لوركا كان معي ١٤٧
ـ الإيميل الذي أرسله لي لوركا ١٥١
ـ يوجع الوطن كأنه نجيب سرور ١٥٥
ـ بوجه حاد ونصف ابتسامة.. وكأنه هاني درويش ١٦١
ـ قصيدة محمود درويش الارتجالية أمام الجمهور ١٦٥
ـ أحمد زكي.. غريب أحب الغربة ١٦٩
ـ حلم المهاجر الحزين وكأنه يوسف شاهين ١٧٣

3abbeth.blogspot.com
مكتبة عابث
@3abeth
@mjanen23
fb : @3abeth

يا سلمى
أنا الآن وحيد..

يا «سلمى»..
أفضل أن أكون وحيداً على أن أكون في ركاب الآخرين الذين يحملون معهم زلات لساني وانفعالاتي الخاطئة.. كل ما في الأمر أني أترك نفسي للحياة وأختار ما يناسبني منها علني أكون مالكاً لها لا أن تملكني هي..
أنا متقلب المزاج يا عزيزتي ولا أملك يقيناً نحو ما أقول.. قد أبدله كل لحظة، ولا أعلم من أين لهؤلاء بهذا اليقين.. إننا جئنا كالحلم من عصر ماتت أحلامه، وسنخرج منها كالحلم أيضاً يا «سلمى».
سأحكي لك حكايات قبل النوم كي تنامي مطمئنة.. استعدي الآن.. هيا بنا..

باسم شرف
كاتب وسيناريست
مواليد عام 1979 - ليسانس آداب جامعة القاهرة.
شارك في كتابة حلقات مسلسلي
«تامر وشوقية»، و«راجل وست ستات»،
و«عالم سمسم» للأطفال..

صدر له:
المجموعة المسرحية «جزمة واحدة مليئة بالأحداث» عن دار «ميريت».
المجموعة القصصية «كفيف لثلاثة أيام» عن دار «العين»، وتمت ترجمتهما لعدة لغات..

تصميم الغلاف كريم آدم

fb : @3abeth